الفصل الثاني
السخرية في المجالات الاجتماعية

انتهى بنا الحديث في الفصل السابق عن السخرية الوطنية والسياسة، وقد عرضنا هناك من الشواهد والنماذج ما نأمل أن يكون كافيا للكشف عن اتجاهاتها المختلفة.

والآن نتكلم-بمشيئة الله-عن السخرية الاجتماعية،وعن أهم القضايا التي عالجتها.

وفي البداية: لابد أن نشير إلى أن الواقع الاجتماعي لا ينفصل – في رؤية الشعراء – عن الواقع السياسي، بل هو من تداعياته وإفرازاته ونواتجه.

وإذا كانت الحياة – إلى حد كبير – حقيقة اجتماعية، فإن الأدب يحاول محاكاة هذه الحياة، وترديد صداها، وعكس سماتها، فهو قد يتناول عالم النفس الداخلي، أو العالم الطبيعي الخارجي، والشاعر – كما نعرف – عضو في المجتمع، وفرد من أفراده، وله علاقاته وروابطه ومكانته وموقفه، وهو يخاطب بفنه المجتمع، ويعبر عن خفي مشاعره باعتباره أحد أفراد هذا المجتمع[1].

أما عما يخص مجالات السخرية الاجتماعية : فنجد أن شعراء مصر في القرن العشرين، قد سخروا من كل النقائص والعيوب الاجتماعية التي تذهب ببهاء المجتمع وتهدده بالتخلف والجمود ، وتسبب لأفراده الضيق والسخط، والقلق النفسي.

فقد سخر الشعراء المصريون من علماء الدين المزيفين ، كما سخروا من المعتقدات الدينية الباطلة، كالارتماء على أضرحة الأولياء، وسخروا من ظاهرة الاستخفاف بالدين وإهماله، وسخروا كذلك – من مظاهر الانحراف الأخلاقي والسلوكي في المجتمع ، ومن انقلاب المقاييس وارتكاس القيم، كما سخروا من الظلم الاجتماعي ومظاهره المختلفة.

وقد كانت السخرية في هذه الحالات تعبيرا عن النفس، وترويحا، وعقابا

١- راجع: فصول في الأدب والنقد والتاريخ، على أدهم / ٢٤١ .

لمن يعتدون على المجتمع وعلى حرماته، وعوامل استقراره، ووضع مقاييس للذوق العام وتأديب المنحرفين، وإصلاحهم حين لا يكون انحرافهم هذا داخلا تحت قانون من قوانين الردع والعقاب.

وعلى ذلك، فالسخرية الاجتماعية أشبه ما تكون بمصفاة دقيقة، تعمل على تصفية الحياة الاجتماعية من كل انحراف أو شذوذ، ومن كل ما يعوق تقدمها وانطلاقها.

"وليس في حياة المصريين ظاهرة ما، أو حالة من الحالات الاجتماعية الدائمة أو الطارئة إلا ومرت بهذه المصفاة الدقيقة التي تقف بالمرصاد لتخلص المجتمع من كل ما يعوق سعادته ونموه" (١).

وسوف نفصل القول في الصفحات القادمة – إن شاء الله – عن أهم القضايا والموضوعات التي تناولتها السخرية الاجتماعية في الشعر المصري في القرن العشرين.

● المبحث الأول:

السخرية من الفساد في مجال التدين:

في بداية القول نود أن نوضح أمرا مهما، وهو أن **"الفساد الديني"** الذي نقصد إليه هنا لا ينبغي أن يفهم منه أنه فساد في الدين ذاته، فهذا ما لا نقصد إليه إطلاقا ؛ لأن الذي ألصق هذا الفساد بالدين هو العقول الآسنة، والأفكار الراكدة، والجهل المطبق، ولأن الدين الإسلامي بطبيعته دين حنيف منقذ من الوقوع في الفساد والضلال والانحراف الخلقي.

وبناءا على هذا التوضيح، فالفساد الديني – هنا – يقصد به "فساد الأشخاص المنتمين لهذا الدين" ولا ينسحب هذا الفساد على الدين نفسه.

هذا، وقد كان للفساد الديني الذي انتشر في المجتمع المصرى في القرن العشرين مظاهر تشير إليه، ودلالات تعلن عنه في وضوح وصراحة.

١- السخرية في أدب المازني، د. حامد الهوال/١٢٥ .

ولعل أول مظاهره وأخطرها ما يلي:

١. فساد بعض المتدينين :

رجال الدين هم المؤتمنون عليه، والموكلون بنصرته والمحافظة على صورته النقية في كل الظروف والأحوال، هذا هو المنتظر منهم ، لكن أن ينقلب الحال، ويصبح الحماة هم اللصوص والخونة، فهذه كارثة أخلاقية، وانتكاسة رجعية.

وهذا ما حدث بالفعل من بعض رجال الدين – في القرن العشرين-، حيث استولت الدنيا على قلوبهم ووجهوا اهتمامهم إلى المكاسب المادية، متخذين من الدين مطية إلى إشباع نهمهم وشرههم في هذه الناحية.

وبناءا على ذلك، لم تشغلهم أمراض المجتمع الفتاكة، ولم يحاولوا وضع علاج لها فأصبح المجتمع مجتمعنا موبوءا متلذذا بحياته، مستسلما لأمراضه.

فالنفاق ، والرياء، والغش، والخداع، والكذب، والجبن، والرشوة، والتملق.. أمراض اجتماعية تعيش في مجتمعنا الإسلامي في أمن وسلام.

ومما يؤسف له حقا: أن بعض علماء الدين قد حاول أن يجد لهذه الأمراض مبررا من القرآن والسنة، بدلا من أن يقاومها ، ويتطوع لخذلانها! .

فبعض رجال الدين من المسلمين قد أصيب بانتكاسة غريبة ، حيث **"لا يتردد في مساندة الباطل، وخذلان الحق عن رغبة لا عن إكراه ، ومتطوعا لا مسخرا"** [١] ما دام ذلك يرضي هوى في نفسه، أو يرضي اتجاها لسلطة يريد هو التزلف إليها.

وطالما فسد الدين، فسد المجتمع؛ لأن الإصلاح الديني والاجتماعي مرتبطان ارتباطا وثيقا، ويجب أن يظلا كذلك؛ لأن من لا يصلح دينه ، لا يصلح مجتمعه، ومن فسد مجتمعه، فلا قيمة لإصلاح دينه[٢].

١- القرآن والمتمردون ، محمد عبد الله السمان/١٣، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي- القاهرة – دار الثقافة العربية للطباعة – القاهرة ١٩٦٣م.

٢- راجع:الإسلام المصفى، محمد عبد الله السمان/٨١، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة – القاهرة ١٩٥٤م.

ومن هذا المنطلق وجدنا شعراء مصر – في القرن العشرين – يجتمعون على رفض هذا المسلك الشاذ، فراحوا يسخرون ويتهكمون ويتندرون برجال الدين – الذين فسدت ضمائرهم، وعميت قلوبهم – ويعدون عيوبهم ونقائصهم الأخلاقية بصورة تعريهم أمام المجتمع الذي ينظر إليهم نظرة إجلال وتقديس.

*يقول **"حافظ إبراهيم"** ساخرا من علماء الفتنة المأجورين الذين سعوا في المجتمع يثيرون الفتن، ويختلقون الشقاق بين الناس[1]:

كم عالم مد العلوم حبائلا ... لوقيعة وقطيعة وفراق [2]

وفقيه قوم ظل يرصد فقهه ... لكيدة أو مستحل طلاق[3]

يمشي وقد نصبت عليه عمامة ... كالبرج لكن فوق تل نفاق

يدعونه عند الشقاق وما درى ... أن الذي يدعون خدن نفاق

فعالم الدين إذا لم تكن نفسه مطبوعة على الخير والصلاح، والأخلاق الحميدة أصبح معول هدم مخرب في مجتمعه، وأصبح العلم الذي يحمله بين جنبيه – والحال كذلك – وسيلة من وسائل التغرير والتمويه والخداع، فعلمه ما هو إلا أشراك وفخاخ ينصبها للصيد... صيد المكاسب المادية التي ينهشها من هذا وذاك، وكأنه ذئب يتربص بفريسته حتى يأتي الوقت المناسب الذي ينقض فيه عليها، فيتركها عظاما نخرة.

وتكمن السخرية اللاذعة في البيت الرابع: في وصف رجل الدين – الذي يمشي متبخترا ، وقد وضع على رأسه عمة كالبرج في ضخامتها وحسنها- بأنه تل من النفاق والكذب .

ولك أن تتخيل هذه الصورة المقززة بما توحي به مفرداتها من تأفف وامتعاض.

١- ديوان حافظ إبراهيم/٢٨٠ ،٢٨١، "الكامل التام"

٢- حبائل الصيد: الأشراك التي يمدها الصائد للاصطياد ، الواحدة: حبالة، والوقيعة: الإفساد بين الناس،

٣- يرصد فقهه: أي يعده ويهيئه.

وفي البيت الخامس: تبرز السخرية من خلال المفاجأة الواقعة من الثقة العمياء من جانب الناس في رجال الدين، ثم اكتشاف أن هذه الثقة في غير محلها، حين يتأكدون أن بعضهم سبب قوى من أسباب الفساد والشقاق بينهم.

*ويقول الشاعر **"صالح الشرنوبي"** ساخرا من بعض رجال الدين الإسلامي الذين شغلوا أنفسهم بالجرى وراء المجد المادى، تاركين رسالتهم الدينية خلف ظهورهم[1]:

يا ضيعة الدين إن أهلوه أذهلهم	مجد الدنانير عن مجد الرسالات[2]
ما بين معتجر يزهو بسبحته	وما يغمغم من ذكر وآيات[3]
وراهب شرق بالدمع لا نسكا	لكنه الدير سجان اللبانات[4]
كلاهما يلعن الدنيا إذا حرمت	يداه ما يشتهيه من لذاذات[5]
حتى إذا بسط الشيطان راحته	إليه صاغ له عذب التحيات
وراح يجمع من آثامه خرقا	ليلبس الحق أثواب الضلالات
يا قوم هانت على قلبي ضلالتكم	وصار علمكم بعض الجهالات
إن كان لابد من دين أدين به	ويعصم النفس من شر الدنيات
فالدين دين الهوى يسمو بصاحبه	إلى الملائك في قدس السماوات

يذكر الشاعر – على سبيل السخرية والتهكم – أن بعض علماء الدين قد انشغلوا بالدنيا، وأطلقوا لأنفسهم العنان جريا وراء الأهواء والمطامع المادية، حتى ضاعت هيبة الدين من النفوس، وأصبح نهبا لأصحاب الشهوات والمنهومين من أصحاب الحاجات التي لا تنتهى.

١- ديوان صالح الشرنوبي/٢٧٩، ٢٨٠ "البسيط التام".
٢- أذهلهم : أي غيبهم عن رشدهم ، من ذهل يذهل ذهلا: إذا غاب عن رشده.
٣- معتجر: من اعتجر الشيخ إذا لف عمامته. يغمغم: من غمغم الرجل: إذا صوت عند الفزع.
٤- اللبانات: جمع لبانة، وهي الحاجة من غير فاقة لكن من نهمه.
٥- اللذاذات: جمع لذاذة، وهي صيرورة الشئ شهيا.

والشاعر في أبياته- الرابع، والخامس، والسادس – يرسم لرجل الدين الفاسد صورة ساخرة، فهو يلعن الدنيا طالما أنه محروم من لذاتها ومباهجها، فإذا أظهر له بعض الشياطين من البشر بريق المادة، جثا أمامه على ركبتيه، منشدا فيه قصائد الحمد والثناء متمرغا في أوحال الدنيا، حتى ولو كان ذلك على حساب الدين.

وهي سخرية مؤلمة تفضح كل خائن لدينه، بائع لكرامته من أجل متاع الدنيا وحطامها .

ونلحظ في البيتين الأخيرين مبالغة لا نوافق عليها، وخاصة في مجال الدين ولعل السبب في مثل هذه المبالغات: هو أن الشعراء في النصف الأول من القرن العشرين، كانوا أكثر جرأة في الهجوم على السلبيات في مجال الدين منهم في بعض فترات النصف الأخير وربما كان السبب في ذلك: ثقة شعراء المرحلة الأولى من أن المجتمع لن يسئ فهمهم، ولن يعدهم متآمرين على الدين، خلافا للحال في المرحلة المتأخرة.

وربما يضاف إلى ذلك: أن شعراء المرحلة الأولى من القرن العشرين، كانوا يتصفون بالحدة – أحيانا نظرا للظروف السياسية السيئة التي كانت تحيط بهم،وتستفزهم في كل لحظة.

*ويقول الشاعر "عبد الرحمن شكري" ساخرا من بعض علماء الدين الذين اتخذوا منه متجرا يحقق لهم الربح والغنى[1]:

فعالهم حتى الطلاقة متجر وربح ... فإن الصبر يبذل للصبر

هم ساوموا الخلاق في كل فعلة ... يبيعون خيرا بالجزاء وبالأجر

هم يحسبون الدين رزقا ومتجرا ... فيا عجبا للدين يخلط بالنكر

فعدلهم ظلم، وخيرهم أذى ... وودهم ود ينغص بالغدر

وصدقهم كذب،وكل فعالهم ... رياء كان الغش في دمهم يجرى!! [2]

١- ديوان شكرى/٢٣٧، طبعة مطبعة مصر بالإسكندرية (بدون تاريخ).

٢- الأبيات من بحر الطويل.

يتهكم الشاعر ببعض علماء الدين من المسلمين ،الذين اتخذوا دينهم تجارة يربحون من ورائها ما يحقق لهم المجد المادي، فطلاقة وجوههم لا تبذل لكل رائح وغاد، وإنما تبذل لمن يدفع الثمن!! وكلمة الخير لا تنطق بها ألسنتهم إلا إذا كان لها مقابل مادي يرضي شراهة نفوسهم.

ولذلك انقلبت قيم الدين وفضائله في سلوكهم في الحياة، فأصبح عدلهم ظلما وخيرهم أذى، ووعدهم وما ينغص بالغدر، وصدقهم كذبا، وأفعالهم رياء ونفاقا.

علماء الدين، وهذا التعداد يقصد به الإغاظة والمضايقة، والحمل على التغيير إلى الأفضل.

*ويقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من بعض علماء الفتنة، وتجار الأديان الذين يتمسحون بالدين رغبة في قضاء مصالحهم الشخصية[1]:

وتدعي في الدين ، والدين يشكو	فعلات كالكفر منه لعينة
نال ما يشتهي من الجاه باسم الدين	زورا في الأمة المسكينة
هو فيهم كالذئب بين دجاج	أو شياه يختار منها السمينة
فقد الدين واليقين وصار المال	والجاه دينه ويقينه
تخذ الإفك والتملق دينا	فجميع الأديان تلعن دينه[2]

يسخر الشاعر **"أحمد الزين"** من بعض علماء الدين الإسلامي – هنا-، ويذكر أنهم أدعياء لا علماء دين؛ لأن الدين يشكو من أفعالهم اللعينة، ومن تصرفاتهم الشاذة التي تكاد تفضي بهم إلى الكفر والعياذ بالله.

فبعض هؤلاء العلماء الأدعياء يتسترون بقناع الدين؛ ليخفوا عن الناس أفعالهم وسلوكياتهم البعيدة عما يأمر به هذا الدين، فقد اتخذوا من قول الزور، ومساندة الباطل والكذب، والتملق دينا لهم، يمتطون صهوته للوصول إلى الجاه والمال، تاركين رسالتهم الدينية تداس بالأقدام.

١- ديوان أحمد الزين/٤ .

٢- الأبيات من بحر الخفيف التام.

وتكمن السخرية في وصف الشاعر لعالم الدين الدعى – في بيته الثالث- بأنه ذئب بين دجاج أو شياه... ثم هو يأخذ يفكر " ويقدر ٠٠ثم يرمي شباكه على صيد ثمين منها ليغنم من ورائه ما يسد به بعضا من نهم نفسه التي لا تشبع ولا تقنع

كما تكمن السخرية اللاذعة في – بيته الخامس – في وصفه لهذا الدعى بأنه اتخذ الإفك والتملق دينا له، وبئس هذا الدين الذي يدفع صاحبه إلى الكذب، والمبالغة في التودد والدعاء والتضرع للغير فوق ما ينبغي ؛ طلبا للمال والجاه الزائف٠

ويبدو أن شعراء مصر في القرن العشرين عامة، بالغوا في الإنكار على فساد رجال الدين، إن صدقا وإن كذبا؛ وذلك تأثرا منهم بالحركة العلمانية الأوربية المتمثلة في الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨م، والتي جعلت رجال الدين أحد أغراضها[١]٠

*وفي سنة ١٩٣٣م، استشرى خطر التبشير في مصر، حتى كاد يؤدي إلى فتنة عمم وحينئذ أخذ بعض علماء الدين الفسقة يحومون حول هذا الخطر، رجاء أن يجدوا من حوله ربحا باردا أو مغنما سهلا٠

يقول شاعرنا الإسلامي **"محمود غنيم"** ساخرا من هؤلاء الذين هرولوا وراء هذه الموجة الجارفة[٢]:

لا يخدعنكم امرؤ	في دينه قد سوما
هو تاجر بالدين يسـ (م) ـمح	حين يربح درهما
إن ينتفع بيسوع	غنى باسمه وترنما
أو ينتفع بمحمد	صلى عليه وسلما[٣]

فالشاعر – هنا – يسخر من النفاق والرياء الذي يتجلى في التلون والتقلب في الرأي ، فهؤلاء الذين غرهم بريق المال منحرفون عن العقيدة، وكل منحرف عن عقيدته

١- راجع: الإسلام في الأدب العربي المعاصر، د٠ إبراهيم عوضين، ج٣٣/٢ وما بعدها، دار رحاب للطباعة بالمنصورة ١٩٨٧م٠

٢- الأعمال الكاملة – محمود غنيم، ج٩٢/١ ٠

٣- الأبيات من مجزوء الكامل٠

لا يخرج عن كونه تاجر عقيدة، فهو لا يدين بولاء إلى عقيدة معينة، وإنما يدين به لكل عقيدة ترمي له فتاتا من الربح والجاه.

وهذه سخرية مرة ولاذعة، تكشف عن شراسة المادية التي سيطرت على قلوب وعقول بعض رجال الدين.

وهي تدل دلالة واضحة على ما غشى الجانب الديني في المجتمع المصري- في القرن العشرين – من فساد وفوضى وبلبلة أخلاقية ، ظهرت آثارها على رجال الدين في ذلك الوقت، وكانت غيبة الضمير أهم ملامحها.

*يقول **"على الغاياتي"** ساخرا من غيبة ضمير بعض علماء الدين، مما قد يترتب عليه بيع الدين في مقابل مطامع شخصية يسعى إليها كثير منهم[1]:

يـــا قـــوم إن أولئـــك العلمـــاء قـــد ... جعلـــوا الـــشريعة ســـلما للمطمـــع
فـــــإذا أرادوا فـــــالحلال ممنـــــع ... أمـــام المحـــرم فهـــو غـــير ممنـــع
القـــول قولهمـــو وفي رأيـــي إذا نقـــد (م) ... نـــا لهـــم عـــدنا بـــسوء المرجـــع
فهلـــم ننبـــذ رأيهـــم ونـــرى لنـــا ... رأيـــا تنـــزه عـــن فـــساد المنـــزع
ونـــشن غارتنـــا عليهـــم كلمـــا ... شـــنوا علينـــا غـــارة المتجـــشع
حتـــى نـــرد همـــو إلى الإســـلام أو ... نـــذر العمـــائم بالمقـــام الأشـــنع
وهنـاك يـصبح ديـن أحمـد خالـصا لله ... لا للأوليـــــــاء الأربـــــــع[2]:

يسخر الشاعر **"على الغاياتي"** – في هذا النص – من بعض علماء الدين الأدعياء الذين امتطوا صهوة الشريعة الإسلامية وجعلوها سلما للوصول إلى مطامعهم ومآربهم حيث راحوا يحكمون فيها بالهوى، فحللوا الحرام، وحرموا الحلال ، وشوهوا معالم الدين الإسلامي الحنيف، في زحام من غيبة الضمير، وسيطرة المطامع والمنافع الشخصية.

١- ديوان وطنيتي/١٣١ .
٢- ديوان وطنيتي/١٣١ .

وتكمن السخرية في البيت الأول: في تأكيد الشاعر على اتصاف هؤلاء العلماء بالنفعية البغيضة، والترقي إلى المجد والجاه على عنق الشريعة الإسلامية.

كما تكمن السخرية – في البيت الثاني- في وصفهم باتباع الأهواء، ومخالفة الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة.

ويقسو الشاعر على رجال الدين في سخريته منهم في بيته قبل الأخير، حين يجعلهم خارجين على الإسلام،وأنهم يحتاجون إلى من يأخذ بأيديهم ليعودوا إلى الحق ومما تحسن الإشارة إليه هنا: أن الغاياتي حين نظم هذه الأبيات القاسية على علماء الدين ، كان طالبا أزهريا ، وهذا يشير إلى أن النقد الفكري، والرغبة في تجديد الفكر الديني وقد سيطرت حتى على المختصين من أبنائه.

وهذا مما ساعد على عنف السخرية، وقسوة الانتقاد ، والمبالغة في التهكم برجال الدين.

* ويسخر "على الغاياتي" أيضا من علماء الفتنة الذين جرهم الجرى وراء المادة والانهماك فى صراعات الحياة، إلى الجهل والغرور[1]:

وغدا فقيه الدين بين الناس لا يدرى ... ويحسب أنه ذا الألمعى

وتراه إن خاطبته مسترشدا ... أو مرشدا أبدى جواب تنطع

وإذا رأى من عالم نور الهدى ... لاقاه جهلا بالضلال الأسفع[2]

من أبرز المظاهر التي يتجلى فيها فساد رجال الدين: احتكارهم للعقيدة الإسلامية، وتزمتهم في ذلك، بحيث لا ينازعهم فيها منازع، ولا يتدخل في شئونها كبير أو صغير، متناسين أن الدين ليس ملكا لأحد، وإنما هو ملك لجميع المسلمين على السواء ومسئولية أي فرد منهم لا تقل شأنا عن مسئولية عالم الدين وفقيه الشريعة.

١- ديوان وطنيتي/١٣٠ .

٢- الأبيات من الكامل التام ، والأسفع: هو الأسود.

وقد جرتهم هذه الثقة إلى نوع من الغرور والتعالي الممزوجين بالجهل، ففقيه الدين أصبح صفر اليدين من أحكام الشريعة، ثم هو – لغروره- يظن نفسه الألمعي الفريد فلا يتكلم إلا متفيهقا متنطعا، وليس هذا فحسب، بل إنه يحاول طمس بواعث النور عند الآخرين، والتشويش عليهم بجهله وضلاله، إن رأى من واحد منهم نور العلم والفضيلة.

وتكمن السخرية في البيت الأول- حين يصف الشاعر فقيه الدين بالجهل والتخلف، مع عدم شعوره بذلك، ومن البلوى ألا يشعر الإنسان بجهله

كما تكمن السخرية – في البيت الثالث – حين يجعل الشاعر من رجل الدين محاربا لأصحاب العلم الصحيح، في محاولة للتشويش عليهم، والتشنيع بهم.

والسخرية – هنا – تجسد انقلاب المفاهيم والمبادئ، حين ينزلق عالم الدين إلى الهاوية، ويقع في لون من التناقض الغريب المزري.

وهي سخرية يشوبها العنف والقسوة كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ومن ذلك – أيضا – قول الشاعر **"احمد سويلم"** ساخرا من بعض رجال الدين الضعفاء[1]:

- اليوم استسلم حول المسألة الفقهاء
- غابوا عن قبلتهم
- وانصرفوا للطول الأعظم
- انصرفوا... يبغون العصمة

فالشاعر – هنا – يتهكم برجال الدين الإسلامي، الذين استسلموا أمام تيارات العصر وصراعاته المتتالية ، مؤثرين السلامة، ومحاولين إرضاء السلطة عن طريق هذا السكوت.

وتكمن السخرية في السطر الشعري الثاني، حين يصورهم الشاعر في صورة من غاب عن أداء واجبه، متعللا بأمرين كليهما من: إرضاء الحاكم، ثم إيثار السلامة وهذا اللون من السخرية – وإن كان خفيفا إلا أنه – يحمل لذعا ومرارة.

١- صرخات تحت قبة الأقصى/٣٧، "الرجز".

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام: هو أن الشعراء الذين سخروا من رقة تدين رجال الدين في القرن العشرين، هم – غالبا – الشعراء المحافظون، من أمثال: حافظ الزين والشرنوبي، والكاشف، والغاياتي ، وهاشم الرفاعي، والقرضاوي ، وقد كان ذلك ضمن منهج كامل قاموا به لمكافحة التغريب في بلادنا [1].

وأما غيرهم من الشعراء الذين افتتنوا بالتغريب فإن عطاءهم في هذا المجال كان قليلا.

ولعل ما قدمته في هذا الجانب ، يعد من الأسباب القوية التي جعلت المسلمين في شرق البلاد وغربها "لا يثقون كثيرا في علماء الدين – ولاسيما في الأعوام الأخيرة – بعد أن أصبح هؤلاء العلماء يسخرون الإسلام لمصلحة أنفسهم، أو لمصلحة الحكومات والاستعمار بدل أن يجعلوا وسيلة لإنقاذ الشعوب والنهوض بها... فسلطان الدولة يستطيع أن يفرض علينا السكوت، ولكنه لا يستطيع أن يفرض علينا

أن ننافق ، والذين قدر لهم أن يسكنوا ارتكبوا أخف الجريمتين، أما الذين قدر لهم أن ينافقوا، فقد ارتكبوا الجريمتين: جريمة السكوت على الأوضاع الفاسدة، وجريمة النفاق [2].

وهنا يتجلى لنا الفرق الكبير بين علماء الدين في العصور السابقة، وبين علماء الدين اليوم، فأولئك كانوا يطلبون بدينهم رضا الله والآخرة، وهؤلاء يطلبون بدينهم الزلفى للحكومات والدنيا، وهم يعلمون أنهم يدفعون الثمن من دينهم وضمائرهم وكرامتهم.

٢. الاستخفاف بالدين:

من أوضح المظاهر التي يتجلى فيها الفساد الديني : ظاهرة "الاستخفاف بالدين" والدين في الأصل: منهج مقوم لحياة البشر، فإذا أخذنا بتعاليم هذا المنهج كانت النجاة وكانت السلامة، أما إذا ابتعدنا عنه، فلا ننتظر سوى الغموض الأخلاقية ولا ننتظر سوى الأزمات والكوارث التي تشل حركة التقدم في المجتمع .

١- راجع: أدباؤنا وقضية التغريب، د. أحمد إبراهيم خليل/٦٥ وما بعدها.
٢- الإسلام المصفى، محمد عبد الله السمان/١٢٨، ١٣٠ بتصرف يسير

ولعل من الأسباب القوية التي دفعت بعض المسلمين إلى الاستخفاف بدينهم: انتشار تيارات الغزو الفكري في المجتمعات الإسلامية، حيث قامت هذه التيارات بحملات تشويه للإسلام، ولكل ما يتصل به من عقائد، ونظم، وتراث، وتاريخ، وفكر، وحياة حتى قال **"رينان الفرنسي"** مصورا عقيدة التوحيد في الإسلام "بأنها عقيدة تؤدي إلى حيرة المسلم، كما تحط به كإنسان إلى أسفل الدرك" [1].

ومن هنا أصبح معظم دساتير البلاد الإسلامية مستمدا من الفكر الغربي، وكأن الإسلام قد عجز عن أن يهيئ لهذه البلاد دستورا قيما يضع لهم أسس حياة طيبة.

ومن الأسباب أيضا: "إننا نحن المسلمين أسقطنا الإسلام من حسابنا جملة واحدة، فاتجاهاتنا التشريعية في المحيط السياسي أو الثقافي أو الاجتماعي، لا تنتظر رأى الإسلام فيها، وحتى لو أجبرناها على أن تسمع رأى الإسلام فيها لا نقوى على إجبارها على أن تخضع له.. تماما كمهمة المفتى الذي تحال عليه أوراق المحكوم عليه بالإعدام لإقرارها باسم الإسلام، فإذا عارض باسم الإسلام أيضا ضرب بمعارضته عرض الحائط؛ لأن رأيه استشاري لا يؤخر ولا يقدم، وكأن المقصود به أن يكون مؤيدا على طول الخط[2].

إلى هذا الحد وصلت درجة الاستخفاف بالدين والعقيدة في حياة المسلمين في القرن العشرين.

وقد صور شعراء مصر – في القرن العشرين – هذه النكبة، وسلطوا سلاح سخريتهم وتهكمهم بفاعليها ، بصورة تبرز يقظة الحس الديني الذي ينكمش أحيانا ولكنه لا يموت.

يقول الشاعر الدكتور "يوسف القرضاوي" ساخرا من إهمال العمل بالقرآن الكريم وتعطيل مهمته في الحياة[3]:

هـذا الكتـاب غـدا في الـشرق وا أسـفا شمـسا تـضئ ولكـن بـين عميـان

١- الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية،د.توفيق يوسف الواعي/٤٠ ط.دار الوفاء، المنصورة ١٤٠٨هـ

٢- القرآن والمتمردون ، محمد عبد الله السمان/٣٥ .

٣- نفحات ولفحات/٤٣، ٤٤ .

يحـــاط بالطفـــل حـــرز مـــن أذى وردى ... وفيـه حـرز الـورى مـن كـل خـسران
يتلـــى علـــى ميـــت في جـــوف مقـــبرة ... ولـــيس يحكـــم في حـــي بديـــوان
فكيـــف نرقـــي ومعـــراج الرقـــي لنـــا ... أمـسى يجـر عليـه ذيـل نـسيـان[1]

قد تعطل القرآن الكريم عن أداء مهمته الإصلاحية في الحياة، فأصبح كالشمس المضيئة، ولكن بين عميان !!

إن حفظة القرآن الكريم يتكدسون أمام المساجد الكبرى، عارضين على زوار الأضرحة بعضا من سور القرآن الكريم بأبخس الأثمان ٠٠ وفي أيام الجمع والمواسم والأعياد تغص المقابر بهؤلاء القراء، ليستجيبوا – في نظير قروش – لرغبات المترحمين على موتاهم بتلاوة بعض سور القرآن٠٠

وفي الريف٠٠ يستغل القرآن الكريم في كتابة التعاويذ والأحجبة ، كما يعلق على الصدور؛قصدا للبركة والحفظ من الأذى٠

وهذه صورة مزرية حقا، ملؤها السخرية والتهكم من هذا الفساد الديني، الذي تجلى في إهمال العمل بالقرآن الكريم، باعتباره دستور هداية وإصلاح٠

وتتجسد السخرية من خلال هذا التناقض الغريب بين ما ينبغي بأن يكون عليه للقرآن بيننا وبين الحالة الراهنة التي تبرز صورة الاستخفاف به٠

*ويقول الشاعر "**محمد الأسمر**" ساخرا من الفساد الديني الذي ترتب عليه الأخذ بشرائع أخرى غير شريعة الإسلام[2]:

قـــام في المـــسلمين شـــرع دخيـــل ... ومـــضى شـــرع خـــاتم الأنبيـــاء
ويـك يـا مـصر أي حكـم أرى اليـو م ... وفـــيم القـــضاء غـــير القـــضاء
كـــل مـــا حـــرم الإلـــه حـــلال ... في نواحيـك يـا لـه مـن شـقاء[3]

١- الأبيات من البسيط التام٠
٢- الأبيات من كتاب: مع الشعراء المعاصرين، د٠ محمد خفاجي/١٠٧ ٠
٣- الأبيات من البسيط التام٠

لقد انقلبت الأمور إلى فوضى وهمجية أخلاقية، وذلك حين غاب شرع الله عن الساحة، وحلت محله شرائع أخرى هابطة وضعها البشر، لتحقيق السعادة لهم، فلم تزدهم إلا شقاء وإرهاقا.

فالإسلام هو القانون الوحيد الذي يستطيع أن يرسم ملامح السعادة على وجه الحياة، بما يحمل بين أعطافه من عوامل الرقي، ومعاني المحبة، والإخاء، والعدل، والمساواة والتواصل ، والترحم بين الناس، بينما يشقي الغرب بما وضعه لنفسه من قوانين جعلته يرسف في القيود، ويتمرغ في الشقاء.

وتكمن السخرية هنا: في هذا التناقض الغريب الذي يبدو في البيت الأول، وذلك حين يستخف المسلمون بدينهم، ويتركون الأخذ بتعاليمه الفاضلة، في زحمة انشغالهم بغيره من الشرائع الدخيلة المغرضة، فستبدلون الذي هو أدني بالذي هو خير.

كما يبدو التناقض – أيضا – في صيرورة الحرام حلالا في المجتمع المصري في ظلال موجة الفساد الديني الذي أغرق المجتمع، وفتن الناس.

فنحن إذن **"لا يمكن أن ننهض إلا إذا التزمنا بالأخلاق وتعاليم الدين، أما الاستهتار والانفلات وعدم المبالاة، فلا جدوى منها إلا الضياع"** [1].

١- رسالة إلى الشباب، إعداد: نخبة من كبار المفكرين وعلماء المسلمين/٥٤ ، مطابع وزارة الأوقاف – ١٩٩٤ م.

٣.السخرية من الاعتقاد في الخرافات والأباطيل:

عندما يتفشى الفساد الديني في المجتمع متجليا في :فساد بعض رجال الدين والاستخفاف بالعقيدة الإسلامية، فإن هذا الأمر يكون دافعا قويا لانتشار الخرافة والاعتقاد في الأباطيل، وهو ما يعد لونا من ألوان الفساد الديني الذي انتشر في المجتمع المصري، وخاصة في النصف الأول من القرن العشرين.

والإيمان بالخرافات والأباطيل ، أو العادات والتقاليد المرذولة ظاهرة اجتماعية لها أعماقها في ضمير الشعب المصري، حتى إن بعض الناس ليعتبرون أن ذلك جزء من عقيدتهم.

ولكن من أجواء التطور والحضارة التي سادت المجتمعات الإنسانية، عرف الناس خطر هذه الاعتقادات الفاسدة، فلفظها كل مجتمع له عراقته وديانته ومبادئه، ورأينا مجتمعنا المصري يهاجمها في أسلوب مرح وساخر، بل إنه هاجم كل مستحدث غير أخلاقي، أو غير مألوف، وخارج عن التقاليد والعادات المصرية[١].

*وتعد ظاهرة **"التمسح بأضرحة الأولياء"** من العادات والتقاليد المرذولة، ومن أكبر المظاهر الدالة على ما أصاب المجتمع المصري من فساد ديني، وفوضى عقدية، فبعض الناس يتهالكون عليهم، وينفقون كثيرا من الأموال في رحابهم.

والغريب أن هناك مستغلين، لا يبالون بالحقيقة نفسها، ولا يهمهم إلا نفعهم الخاص، وهؤلاء من أكثر الناس دفاعا عن مثل هذه المعتقدات الفاسدة.

ومما يثير الدهشة حقا:أن هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ببذخ وسخاء على أضرحة الأولياء والصالحين، هم من أكثر الناس بخلا على أنفسهم، وعلى غيرهم من الأحياء، كما أن هؤلاء الذين يتذاكرون ويتمايلون ذات اليمين وذات الشمال – حتى ليخيل إلى الناظر إليهم أنهم قد تجردوا من متع الدنيا وزينتها- يعلم الله أن أذان الصلاة يرتفع فوق رؤوسهم

١- راجع: الفكاهة في الشعر المصري الحديث، د. طاهر عوض/٥٧ .

فلا يتحرك منهم ساكن،فإذا ما وضعت أواني الطعام والشراب، كانوا من أوائل الناس إسراعا إلى ملء بطونهم المنهومة[1].

والناظر إلى الشعراء المصريين في القرن العشرين – ولاسيما المحافظين منهم – يجد أنهم قد وقفوا في وجه هذا التيار، من باب الغيرة على دينهم ، والمحافظة على أصالتهم.

*ومن ذلك قول الشاعر"**حافظ إبراهيم**" ساخرا من المعتقدات الدينية الفاسدة[2]:

أحياؤنـــا لا يرزقـــون بدرهـــم ... وبـــألف ألـــف تـــرزق الأمـــوات

مـــن لـــي بحـــظ النـــائمين بحفـــرة ... قامـــت علـــى أحجارهـــا الـــصلوات

يسعى لها الأنام، ويجرى حولها بحر النذور ... وتقـــــــــرأ الآيـــــــــات

ويقـــال هـــذا القطـــب بـــاب المـــصطفى ... ووســـيلة تقـــضي بهـــا الحاجـــات

فحافظ إبراهيم – في هذا النص – يسخر من تلك الحشود الحاشدة التي تغشى أضرحة الأولياء والصالحين، وهم ما بين باك وشاك، وقائم وقاعد، ومصل وقارئ، وداع ومتوسل، وحولهم بحور من النذور تنهال عليهم، بينما كثير من الأحياء فقراء يعانون من شظف العيش، ولا يجدون ما يسد حوائجهم الضرورية.

وتكمن السخرية في البيت الثاني، حين يبرز الشاعر خوافي النفوس، وتمنيها أن تنال ما يناله هؤلاء الأموات.

والسخرية تجسد هذا التناقض الغريب، الذي جعل الحى يشعر بأنه أسوأ حالا من الأموات.

وهي سخرية تعمل على تعرية المجتمع المصري- في بعض مراحله – من المشاعر الإنسانية النبيلة تجاه غيرهم.

ولاشك في أن حافظا قد استفاد هذا المعنى النقدي من تلمذته على يد الإمام.

١- راجع: السخرية في أدب المازني، د. حامد الهوال/١٢٤

٢- ديوان حافظ إبراهيم/٣١٨، "الكامل التام".

محمد عبده صاحب أكبر حركة تجديد في الفكر الديني في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن العشرين[1].

ومن ذلك قول الشاعر"محمود غنيم"ساخرا من ظاهرة إقامة الموالد فى طول البلاد وعرضها[2]:

لهفـــي علـــى بلـــد بعـــا (م) دات الجـــــدود مقيـــــدا

جـــــرت الـــــشعوب ولم يـــــزل بمكانـــــــة كالمقعـــــــد

إن قـــــاد بعـــــض المـــــص (م) لحـــــين زمامـــــه لم ينقـــــد

وإذا دعتـــــــــه عمامـــــــــة خـــــــضراء لم يتـــــــــردد

باســـم الـــصلاح يـــشوهو (م) ن جمـــــال ديـــــن محمـــــد

مـــا كـــل ســـيال اللعـــا (م) ب مـــــن الثقـــــاة الزهـــــد

فالشاعر – هنا – يسخر من أغلال العادات والتقاليد الاجتماعية المذمومة التي تسيطر على كيان الشعب المصري، مثل عادة "إقامة الموالد" اعتقادا منهم أن الولي يستطيع أن يحقق لهم المستحيل، فينفقون على أرضه كثيرا من الأموال، ويضيعون في ساحاته مالا يعوض من الأوقات.

وقد أدى التمسك بهذه التقاليد المرذولة إلى نوع من الجمود والتخلف الذي عشش في وجدان كثير من أبناء الشعب المصري، حتى إن كل الشعوب تهرول وراء مصالح بلادها ونحن لا يشغلنا سوى الجرى وراء موائد الموالد، وحفلات الذكر الصاخبة.

وتكمن السخرية اللاذعة في البيت الذي قبل الأخير، حين تبرز هذا اللون من التناقض الغريب، فهؤلاء المرتمون في أحضان الخرافات يزعمون أنهم – بفعلهم هذا – يقدمون لونا من الإصلاح الديني، بينما هم في الحقيقة يقدمون صورة مشوهة للدين الإسلامي الحنيف.

١- راجع ذلك في: أدباؤنا وقضية التغريب/٤٥ وما بعدها.

٢- الأعمال الكاملة، ج١/ ٢٧٩، "مجزوء الكامل".

*ويقول الشاعر **"حسن فهمي"**[1] ساخرا من ارتماء بعض المصريين على أضرحة الأولياء ؛ طلبا لقضاء الحاجات، وتحقيق الآمال[2]:

الشرك بين المسلمين لقد غدا ... ملء القلوب وفوق كل لسان

لا يعرفون سوى الولي ليودعوا ... قبر الولى رغائبا وأماني

قد أشربوا حب الولي وخوفه ... من دون خوف القاهر الديان

فالسيد البدوي رب قادر ... وكذاك عبد القادر الجيلاني!

فلأجلهم تجرى الدماء غزيرة ... قربانهم أكرم بذا القربان

يدعون أحجارا وأعظم رمة ... إذ كل شئ غير ربك فان

فاعجب لمن يدعو الولي وقد غدا ... في الأرض أزمانا على أزمان

هل تسمع الأموات إن ناديتهم ... أفما تجيب سوى الهذيان[3]

والنص كله غاص بالسخرية اللاذعة، والتهكم المرير بهؤلاء الذين اتجهوا إلى مخلوق ميت تحت أطباق الثرى، يسألونه الحاجات، ويتوسلونه إليه، متغافلين عن الخالق – سبحانه وتعالى– راكبين صهوة الجهل الأعمى، والتطرف البغيض "وليست جناية التوسل قاصرة على هذه الخرافات، وإنما الجناية الكبرى هي المعارك الهزيلة الصاخبة بين أشياع التوسل وأعدائه، والتي تشغل طائفة من المسلمين عن مهام الأمور وتضرب بمعول من حديد لتمزيق وحدتهم التي أرادها الله لهم؛ لتصون قوتهم، وتحفظ كيانهم، وتصد عنهم غارات العدو"[4] .

* ومن العادات والتقاليد المرذولة في المجتمع المصري، والتي هي حصاد مر لهيمنة الخرافات والأباطيل ، وسيطرتها على عقول الكثيرين من أبناء المجتمع: ظاهرة "ادعاء

١- عاش الشاعر المحامي حسن فهمي في مرحلة النصف الأول من القرن العشرين، وهو من رفاق الأديب والمفكر عبد الفتاح أفندي راغب، وله ديوان شعري بعنوان "مرآتي"، وهو يجمع شعره ما بين عامي ١٩١٤م- ١٩١٩م، وقد طبع سنة ١٩٢٣م بمطبعة السلام بالإسكندرية، وشعره عمودي ملتزم.

٢- ديوان مرآتي/١٣٨، مطبعة السلام بالإسكندرية سنة ١٩٢٣م.

٣- ديوان حافظ إبراهيم/٣١٨، "الكامل التام".

٤- الإسلام المصفى/٤٩ بتصرف.

التصوف"، وذلك من خلال طرق صوفية لها مشايخ ومريدون في طول البلاد وعرضها.

وقد "كان لهذه الطرق سلوك فيه قليل من الاتزان، وآخر يفيض سفها وشطحا، كما كان لها اتجاهات ثلاثة هي غاية في الخطر:

أولها: أن تصبغ المريد بصفة الفناء في شيخه، حتى يعتبر دينه ومذهبه، ودنياه وآخرته، وماضيه وحاضره ومستقبله.

وثانيها: أن تصرف المريد عن الدنيا،وتعزله عن وحدة المسلمين وشئونهم، ومهام أمورهم التي تتعلق بكيان دولتهم، وتطبعه بطابع الدعة والتواكل والخمول.

وثالثها: أن تجعله يعيش في جو غامض، مشبع بالألغاز المعقدة، مملوء بالخيالات والأوهام، وتسيطر على عقله، حتى تجعل بينه وبين روح الشريعة جفاء مستحكما" [1].

وقد وقف شعراء مصر في القرن العشرين لهذه الظاهرة، وتصدوا لخطرها الذي يشوه على الناس عقائدهم، ويلقي ببذور الشك والحيرة في نفوسهم.

فهذا الشاعر **"أحمد الكاشف"** يقول ساخرا من أحد المريدين البله الذي يعيش في جو من الوهم والخيال[2]:

ومريد لشيخه ناذر عجلا ... سمينا به إليه يتقرب

وكلما قدم الطعام له كبر (م) ... مستبشرا به وتأدب

وسطا اللص في الدجى فتلقا (م) ه ابنه ... فانثنى وما نال مأرب

ودرى الوالد الجهول بما كا (م) ن ... فأثني على الولى وأطنب

قائلا إنني رأيت مغيثي ... في منامي على جواد أشهب

حارسا منزلي يرد مغيرا ... بالحسام المنصور في كل مضرب

فأهان ابنه بنسبته الفض (م) ل ... إلى شيخه البعيد وأغضب

١- الإسلام المصفي/٥٦، ٥٧ بتصرف.

٢- ديوان الكاشف/ ١١٨ .

فنـــأى عنـــه تاركـــا بـــل مبيحـــا ... دارَه بعـــــده لمـــــن يتوثـــــب
وأتـي اللـص ثانيـا ومـضى بالـ(م) ـعجل ... لا يتقـــــى خفـــــيرا ويرهـــــب
ثـم هـب المريـد لا يجـد العجـ (م) ـل ... وعـــــاد ابنـــــه إليـــــه وأنـــــب
فـــــدعا أهلـــــه وقـــــال لهـــــم مـــــا ... أخـذ العجـل غـير شـيخى المحبـب
فلقـد خـاف أن يفاجئنـا اللـ (م) ـص ... فلـــم يـــرض أن نهـــان ونـــسلب
وأرانيـــه وهـــو يأكـــل في مـــر عـــاه ... في صـــادق المنـــام-ويـــشرب[1]

فالشاعر – هنا – يسخر من حمق هذا المريد ومن جهله المطبق، حين ينسب الفضل إلى شيخه فيما يعلمه هذا الشيخ ومالا يعلمه، كما يسخر من أوهامه الساذجة التي خيلت إليه صورة شيخه الفارس الذي يحرس منزله، ويرد عنه غارات المغيرين واللصوص كما خيلت إليه صورة عجله، وهو يأكل ويشرب في حفظ من شيخه ، الذي أخذه ليحفظه من أيدي اللصوص.

وتدل هذه السخرية: على رفض فهذا الاتجاه الذي يعتمد على الخرافات والأباطيل، التي أورثت مجتمعنا التخلف عن ركب الإسلام الصحيح، ولاسيما بعد أن أصبح المريدون اليوم من البسطاء السذج، والجهلة الأغبياء، وأشياع البطالة، تبعا لشيوخهم الذين احترفوا الطرق كمورد للارتزاق، ووسيلة للعيش.

*ويقول **"أحمد الكاشف"** أيضا، ساخرا من حال مريد يذهب مذهب التضليل والتمويه والمخادعة[2]:

هاجـــــه الوجـــــد فمـــــالا ... يـــــذكر الله تعالـــــى
مرغيـــا كالجمـــل المـــص (م) ـــعب ... إذ حـــــــل عقـــــالا
قلـت هـل تبغـي بهـذا الـر (م) قـص ... بـــــالله اتـــــصالا

١- الأبيات من بحر الخفيف التام.
٢- ديوان الكاشف،/، ١١٨، ١١٩ .

قـــال هـــذا خـــير مـــا ارتـــا (م)ض ... بـــــه الراجـــــي كمـــــالا
تـــترك الـــنفس بـــه للـــ (م) جـــسم ... أغـــــــلالا ثقـــــــالا
فهـــوى دينـــارٍ منـــ (م)ـــه ... وقـــــد تـــــاه اختيـــــالا
ورآه أحـــــــد القـــــــو (م) م ... فأخفـــــــاه احتيـــــالا
وأحـــــس الـــــشيخ بالحـــــادث ... فاعتـــــــل اعتـــــــلالا
ودعـــــا بـــــالغوث حتـــــى ... أتعـــــب القلـــــب ابتهـــــالا
قلـــــت يـــــا هـــــذا أيبكـــــي ... زُهـــــد مثـــــلك مـــــالا
لم لا يلهمـــــك الذكـــــ (م)ـــــر ... عـــــن الحـــــزن اشـــــتغالا
فتجـــــرد مـــــن دعـــــاو ... مكنـــــت منـــــك الخيـــــالا
إنمـــا نفـــسك في جـــسد (م)ـــمك ... لا ترضـــــي انتقـــــالا[1]

فالكاشف – هنا – يسخر من مدعى التصوف الحمقي، الذين يدعون أن هذا التمايل الذي هو أشبه شئ بالرقص: من طبيعة الذاكرين؛ لأنهم يحاولون به تجريد الروح من الجسد، لتتصل بالعالم العلوى النوراني، ويسمونها "الرياضة" وتكمن السخرية – هنا – في كذب هذا الشيخ في دعواه؛ لأنه تفقد دينارٍ وهو في حالات السكرة المضحكة !

*ومن العادات والتقاليد المذمومة في مجتمعنا المصرى "تحريم بعض الأشياء في أوقات معينة بغير دليل سوى المعتقد الخرافي"

ولاشك في أن هذه الناحية تبرز لونا من ألوان الضعف العقدى، بسبب بعد الشقة بين الناس وبين دينهم، وبسبب غفلة العلماء الذين تركوا الفرصة للوساوس حتى اغتالت الناس وأفسدت عليهم دينهم.

*يقول الشاعر **"أحمد الكاشف"** ساخرا من خرافة تحريم شرب اللبن في يوم الأربعاء[2]:.

١- الأبيات من بحر الخفيف التام.
٢- ديوان الكاشف/١١٩ .

لا ذنـــب للنـــاس يـــوم الأربعـــاء بمـــا أصـابني فيـه مـن بـؤس ومـن محـن
الـــذنب لـــي فقـــد ضـــيعت حرمتـــه ونقـت في صيحه كأسـا مـن اللبن[1]

فالشاعر – هنا – يسخر من هذه الخرافة في صورة الإثبات ، فهو ينفي عن الناس أن يكون لهم دخل فيما أصابه من بؤس ومحن في هذا اليوم؛ لأنه قد

عرف سر هذا البلاء، وهو أنه أخطأ حين تناول كوبا من اللبن في صبح يوم الأربعاء فكان بذلك منتهكا حرمة هذا الشهر .

وتكمن السخرية هنا: في أن الشاعر نفي أن يكون لهذه الخرافة أصل ديني ، وإن كان كلامه يوهم – في ظاهره – اعترافا بها، ولكن ذلك يزول حين نعرف أن الشاعر بني كلامه على صورة الإيجاب الذي يراد به السلب في المعنى كقولك لبخيل:أنت أكرم الناس .

*ومن العادات الاجتماعية الفاسدة "الشعوذة"،وهي لون من الكهانة، وفيه يقوم الساحر أو العراف أو المنجم بإظهار الشئ على غير حقيقته معتمدا على خداع الحواس .

والكهانة من ألعن الأضرار في الإسلام،وهي إدعاء معرفة الغيب، حيث يقوم هؤلاء الكهنة بتسخير الجن لمعرفة بعض الأشياء التي يحسبها الجاهلون كشفا للغيب .

وفي المجتمع المصري تشيع هذه الظاهرة، وهي تنتشر حيث يعشش الفقر والجهل في بعض البيئات، وحيث يوجد ضعف الإيمان لدى بعض المسلمين، فنراهم يقبلون على المنجمين والمشعوذين من كل صوب وحدب، ينشدون قضاء الحاجات ، وحل العويص من المشاكل التي تعرقل مسيرتهم في الحياة .

ويدخل في نطاق الشعوذة أيضا: من يتعاطون معرفة الحظ بالنظر في الكف، ومثله فتح الكوتشينة، وضرب الودع ، والتخطيط في الرمل، والنظر في الفنجان، فكل ذلك من تلبيس إبليس على الناس .

١- البيتان من البسيط التام .

يقول الشاعر **"محمد الأسمر"** ساخرا من هذه المعتقدات الفاسدة، من قصيدته **"ضارب الرمل"** [1]:

أمسى يحدث عن غد ولو أنه ... يدريه لم يجثم على الطرقات

متدثر بالباليات خصاصة ... ويروح يسأله ذوو الحاجات

ويقي من الشيطان وهو أخ له ... فيما يزينه من الفعلات

ويداري للغانيات حبائل ... ملعونة الغدوات والروحات

لهفي على الأنثى الغريرة حينما ... زرته وهي بريئة الخطوات

جاءته وهي من الحصانة مريم ... ثم انثنت مدخولة الحجرات[2]

فالشاعر **"الأسمر"** يسخر – في هذه الأبيات – من أحد المشعوذين، وهو "ضارب الرمل" وهو الذي يقوم بعمل خطوط فوق الرمل، ثم يفسر للناس- من خلال هذه الخطوط- مستقبل حياتهم ويعطي لهم حلولا لمشاكلهم، والناس – لغلبة الجهل عليهم – يقصدونه من كل مكان، زعمين أنه يقضي لهم الحاجات، ويقي بعضهم من الشيطان.

وهذا مظهر من مظاهر الضعف الديني، وغلبة الأمية الفكرية على عقول بعض الناس.

وتكمن سخرية الشاعر من ضارب الرمل هذا في وصفه – في البيت الأول والثاني – بأنه يلبس ثيابا بالية متهالكة؛ إشارة إلى ما يعانيه من فقر وإملاق، ومع ذلك فالناس يتوافدون عليه يسألونه قضاء الحاجات، ولو كان يملك القدرة على ذلك لأصلح من شأن نفسه أولا !

كما يزعم الناس أنه – بما يقدمه لهم من أحجبة وعصايا – يقيهم من أذى الشيطان ، وهم لا يعلمون أنه في حقيقة الأمر – أخ لهذا الشيطان، بما يزينه للناس من وجوه الشر والفساد، وبما يوقعهم فيه من فحش وخروج على مألوف الدين.

١- الأبيات من الكامل التام.

٢- ديوان الكاشف،/ ١١٧ ، "الوافر التام"

وهي سخرية قائمة على المفارقة، حيث تكشف السخرية عن حقيقة هذا المشعوذ والتي هي – بطبيعة الحال – على عكس ما يتوقعه الناس فيه.

*ويقول **"أحمد الكاشف"** ساخرا من ظاهرة اللجوء إلى الشعوذة، وإن أراحت بعض الناس في الظاهر، وذلك من قصيدته "مريضة بين طبيب ومشعوذة" :

أصابت علة الأعصاب يوما ... فتاة حيرت عقل الرشيد
وعالجها طبيب مستبد ... عبوس الوجه يأتي بالوعيد
فلم تنل الشفاء على يديه ... فزاد الوهم بالقلب الكميد
وعادتها عجوز ثم قالت ... أفيقي ليس برؤك بالبعيد
وأعرف شيخة سمت اشتهارا ... بإخراج المريدة والمريد
فنادتها: خذي مالا كثيرا لها ... وبها إلى الآن عوني
وجاءتها بشيختها فحيتها ... تحية ذات ميثاق أكيد
وقالت ليس داؤك غير مس ... من الشيطان تدبير الحسود
وقد وضع الكتابة في جراب ... وألقاه ببئر في الصعيد
وسوف تراه عينك في رغيف ... مساء اليوم في الدور الجديد
فلما حان موعدها رأته ... فعادت وهي في فرح شديد
وأبرق وجهها بشرا فهبت ... هبوب الريح في بأس الحديد
ورب مشعوذ أغنى مريضا ... برقته عن الآسى العنيد

يحكي الشاعر – في هذا النص – قصة فتاة أصابها المرض، فلجأت إلى طبيب ليعالجها من علتها، ولكنه كان عبوسا شديدا غليظا ، فلم تتحسن حالتها على يديه، وهنا .. تزورها امرأة عجوز، وتعرض عليها العلاج عن طريق امرأة مشعوذة، وبالفعل يتم هذا الأمر، ويحدث اللقاء بين المريضة والمشعوذة!

وهنا يظهر الفرق بين لغة الطبيب، ولغة المشعوذة ، فلغة الطبيب كانت قاسية جافة غليظة فلم تأت بشيء ، أما لغة المشعوذة ، فكانت لغة دافئة، لينة، تبعث الأمل والراحة في أقطار النفس، فأتت – لذلك بنتائج حسنة.

وتكمن السخرية هنا: في عقد هذا اللون من المقارنة بين طبيب مستبد، عبوس الوجه، يأتي بالوعيد.. وبين مشعوذة لينة القول، هاشة الوجه ، تعطي للنفس آفاقا واسعة من الأمل.. ثم تأتي النتيجة .. وهي تضاعف المرض على يد الأول، وزواله على يد الثاني.

ومع ذلك ، فإن سلوك هذا الطبيب المخالف للإنسانية، لا يعطي مبررا أو مسوغا للجوء إلى طرق الشعوذة والفساد؛ لأن الغاية لا تبرر الوسيلة.

● المبحث الثاني

ـ السخرية من مظاهر الانحلال الأخلاقي والسلوكي في المجتمع:

كان أخوف ما يخاف منه المستعمرون : هو قوة الشعور الديني لدى جماهير المسلمين في مصر؛ لأن الإسلام دين يدعو إلى القوة والعزة والكرامة، وينفر المسلمين من الخضوع والاستذلال لغيرهم، ويربى فيهم حب الاتحاد والتعاون، فإذا قوى هذا الشعور الديني لدى المسلمين – والحال كذلك – كان ذلك شيئا مؤرقا لمضجع المستعمرين الحاقدين؛ ذلك أن قوة العواطف والمشاعر الدينية تذكر المسلمين بماضيهم المجيد، وما كان لآبائهم وأجدادهم من قوة ومكانة عالية، وتجعلهم يفكرون فيما آل إليه حالهم من ضعف وتخاذل فيعملون على التغيير، واستعادة صورة الماضي، ولن يكون ذلك إلا بمكافحة الاستعمار بشتى صوره وأشكاله.

ولما كان المستعمرون يعملون ألف حساب لهذا الشعور الديني ، فقد حاولوا – جادين – أن يضعفوا من شأنه ، وأن يحدوا من قوته، فنشروا الفساد في الأرض، وفتحوا على العالم الإسلامي – ولاسيما مصر – منابع الإثم والرذيلة، وأكثروا من تلك المفاسد حتى يستسيغها المسلمون ويستمرئونها ، وبذلك تفسد أخلاقهم، ويضعف الوازع الديني

في نفوسهم، ولم يعدم الاستعمار – وهو في طريقه لتحقيق هذه الغاية – من أبناء مصر من يقف معه، ويتبع هواه ، إما عن ذوبان وإعجاب، وإما عن ضعف وخيانة، وما الإلحاد والفساد والتخبط الذي منيت به أكثر بلاد الإسلام- ولاسيما مصر – إلا نتيجة حتمية لسياسة الغزو الاستعماري، الذي شجع على الفوضى والفساد والتحلل، وأجاب رغبات النفوس، ويسر منالها لعامة الناس، فالزنا لا يحرمه قانون، وكذلك الخمر، والعامل البسيط بأجر يومي يمكنه أن يلج صالات الرقص ؛ ليخاصر النساء، ويسمع الموسيقي والغناء ويسكر ويضحك دون مبالاة !!

لقد صمم المستعمر على أن يجعل من بلادنا سوقا لأفكاره "وسوق الأفكار أخطر أسواق المنتجات، وأكثرها تقبلا للتزييف والإفساد، ومن ثم حفلت أسواقنا

بما هو أشد فتكا من السموم، وأعظم انتشارا من الهواء ، يتخلل كل خلية، وينخر في كل بناء، أفكار ترتدى أثوابا ، أو تحمل شعارات، أو ترفع مشاعل، ليس الثوب فيها أو الشعار، أو المشعل، إلا قناعا لستر الزيف الخطر"[1] .

ومما لاشك فيه أن هذا "الغزو الفكري والأخلاقي أخطر من الغزو المادي المسلح لأنه يمضى بين الناس في صمت ونعومة وخفاء في الأهداف، مما يجعل الناس – تدريجيا – يتقبلون كل جديد ولو خالف قيمهم ، وعقائدهم، وأفكارهم، دون معارضة، ويتقبلون الذوبان في بوتقة أعدائهم ، وهم ينظرون ولا يشعرون" [2].

وربما يأتي جيل من الشباب – بعد ذلك – ويظن أن هذا الفساد والإلحاد قدر كتب عليه، وأنه لا يستطيع الفكاك منه.

ونحن نقول إن حجته أو احتجاجه هنا غير مقبول؛ لأن الإسلام "لا يعتبر أن مجرد إصلاح النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، سيجعل الناس فضلاء تلقائيا

١- الغزو الفكري في التصور الإسلامي، د. أحمد عبد الرحيم السايح/٥٥، مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية.

٢- المصدر السابق/٢٦ .

كما تعتقد الشيوعية.

أنه يعتمد ويصر على كل من الإصلاح النفسي والروحي عن طريق الإيمان بالله وبالآخرة، تماما مثل ما يعتمد ويصر على الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي؛ لأن صور الحياة الروحية والمادية متصلة تماما بعضها ببعض، وإذا أهملت واحدة من الاثنتين على حساب الأخرى، فإن ميزان الحياة يفقد توازنه، ولكن الإسلام يضع المسئولية على عاتق الفرد بالنسبة لكل فضائله ورذائله، ولا يمكن أن يحتج المرء بقوله: **"لقد نشأت في مجتمع فاسد،وبناء على ذلك:فإن كل أخطائي تقع تحت مسئولية المجتمع"**؛لأن الإجابة على ذلك.

أن يقال" **إذا كنت قد نشأت في مجتمع فاسد، فيجب أن تقطع كل علاقة لك به وتبحث عن مجتمع أفضل، أو أن تسعى لتغيير مجتمعك متعاونا مع الآخرين الذين يرون الشر مثل ما تراه أنت...**" [1].

ورغم محاولات التصدي لموجات الغزو الفكري الكثيرة، فشت كثير من مظاهر الانحلال الأخلاقي والسلوكي في المجتمع المصري، والتي لاشك في أنها تعتبر أمراضا اجتماعية خطيرة تنخر في أوصاله ، وتهدمه على مهل.

فلقد تفشى النفاق والرياء، وكثر التملق، والبخل، والحسد، وانتشرت الرشوة والمحسوبية، والغش، والوشاية، والميوعة والتعري والسفور والكلف بالمظاهر الكاذبة.

وأمام هذا الحشد الهائل من الأمراض الخطيرة الفتاكة، قام شعراء مصر في القرن العشرين بدور إيجابي في التصدي لها عن طريق السخرية منها، ومن المتصفين بها، بهدف تطهير المجتمع المصري من مظاهر الانحلال الأخلاقي والسلوكي والسلبيات التي يعانى منها ، والتي تعد – في نفس الوقت – ملمحا من ملامح ضعفه وتأخره.

١- ما هو الإسلام ؟ تأليف / محمد مظهر الدين صديقي، ترجمة/حلمى عرفة/٢٧، ٢٨، مطابع المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة ١٩٧٨م.

وإليك نماذج مما قال الشعراء في السخرية من أهم مظاهر الانحلال الأخلاقي والسلوكي في مجتمعنا المصري:

١. السخرية من النفاق والرياء:

النفاق والرياء من الآفات الخطيرة التي تفشت في البيئة المصرية، مما كان سببا قويا أدي إلى ازدهار فن السخرية، والتي كانت تهدف إلى الإصلاح والتهذيب والإرشاد، وقد تدرجت - في أثناء - ذلك بين الشدة والعنف تارة، واللين واللطف تارة أخرى.

ولعل النفاق والرياء لا يروجان في مجتمع من المجتمعات، إلا إذا كان هذا المجتمع مصابا بضعف في الشخصية، مما يجعله ينسى مقوماته أو يتناساها، ويعمي أو يتعامى عن تقاليده النافعة، ويجعل يحاكي الأقوياء الغالبين محاكاة لا خير فيها، بل فيها الشر والضر[١].

وقد كان للنفاق والرياء في النصف الأول من القرن العشرين ملامح، أهمها ما يلي:

قد يبدو النفاق والرياء في مظهر ذلك الإنسان الذي يتظاهر بالتقوى والزهد والصلاح والورع، وهو ليس من ذلك في شئ.

*ومن أمثلة ذلك: قول أمير الشعراء **"أحمد شوقي"** ساخرا من هؤلاء المتظاهرين بالزهد والصلاح[٢]:

عجبت لمعشر صلوا وصاموا ... ظواهر خشية وتقى كذابا [٣]

وتلفيهم حيال المال صما ... إذا داعى الزكاة بهم أهابا[٤]

لقد كتموا نصيب الله منه ... كأن الله لم يحص النصابا

ومن يعدل بحب الله شيئا ... كحب المال،ضل هوى وخابا[٥]

١- راجع: الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي ، ج٢/١١٤ .
٢- راجع: الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي ، ج٢/١١٤ .
٣- الشوقيات: المجلد الأول، الجزء الأول/ ٧٠ .
٤- الكذاب: الكذب.
٥- أهاب به: دعاه.

فأمير الشعراء– هنا – يسخر من هؤلاء المتظاهرين بالتقوى والصلاح،حيث يصلون ويصومون إظهارا للخشية،وهم كاذبون مضللون،يمنعون حق الله في زكاة أموالهم، ويصمون آذانهم عن إجابة داعى الزكاة، فضلوا وخابوا وخسروا٠

وتكمن السخرية – هنا – في وصف شوقي لهم بالنفاق والرياء، والتظاهر الكاذب بالتقوى والورع، "**ظواهر خشية وتقي كذابا**"

والسخرية – هنا- تكشف عن لون من التناقض الغريب بين الظاهر والباطن، وهو أمر يدفع إلى السخرية، والعنف فيها٠

ومن ملامح النفاق والرياء أيضا: التلون والتقلب في الرأى٠

*وهو يبدو في قول "**مصطفى صادق الرافعي**" ساخرا من بعض المرائين والمتلونين والمتقلبين فى آرائهم وصلاتهم بالآخرين[1]:

وجوهـــك شـــتى،واحد ذو بلاهـــة ... وآخـــر مـــن هـــذى البـــلاهة بـــارد

ووجـــه أرى فيـــه النفـــاق ملونـــا ... وآخـــر إن يبـــصر ذوى الفـــضل حاســـد

ووجـــه مـــن الكيـــد المخبـــأ بـــارق ... ووجـــه مـــن اللـــؤم المـــشهر راعـــد

فيـــا عجبـــا تمـــشى بـــستة أوجـــه ... مع الدهر بين الناس، واسمك واحد[2]

فالشاعر– هنا – يخاطب شخصا مفردا، وإن كان لا يقصد إلى شخص بعينه فهو يتحدث عن ظاهرة عامة، ومرض متفش بين أفراد المجتمع٠

فأغلب الناس في المجتمع المصري لهم وجوه كثيرة ٠٠ تتلون وتتقلب وتتغير بالضبط كالحرباء ذات الألوان المتعددة، والأشكال المختلفة!

١-ديوان الرافعى ، ج١/١١٧.
٢- بحر الطويل

والسخرية تتجسد – في هذا النص- من خلال تصوير هذا المتقلب المرائي بصورة إنسان ذي وجوه كثيرة متعددة الأشكال والألوان، وهو تصوير ساخر يحمل كثيرا من معاني السخر والتهكم.

*ويقول الشاعر "**محمد مصطفى الماحى**" ساخرا من آفة المداهنة والتلون التى ابتلى بها بعض أفراد مجتمعنا المصرى[1]:

طبائع المرء تأبي الخير تفعله ... فهن للشر والعدوان أعوان

فعاشر الناس واحذر كيدهم أبدا ... فشر ما صحب الإنسان إنسان

يريك من بشره ما لست تنكره ... وحشو جنبيه أحقاد وأضغان

ولا تزل له.. ما دمت في سعة ... زلفى إليك وتبجيل وشكران

فإن تضق ساحة أو تعي نازلة ... ثني العنان وولى وهو غضبان

يصفي ودادك ما أكرمته ويرى ... ترك الوداد إذا لم يبق إحسان[2]

فالشاعر – في هذا النص – يكشف عن طبيعة ذلك الإنسان المنافق، وهي طبيعة تستمد مقومات حياتها من المداهنة والتلون، فهو يوهم صاحبه أو من يخالطه بإخلاص الود له، ويتلقاه بالبشاشة والطلاقة كلما غدا أو راح، بينما قلبه – في حقيقة الأمر- يتنزي من الأحقاد والضغائن !

كما أنه يبقي على المودة طالما أنها تجلب له وجها من المنفعة، فإذا اختفت المنفعة ، ثني العنان، وأعلن الغضب والقطيعة !!

وتكمن السخرية في الأبيات(٣، ٤، ٥، ٦) حيث تكشف السخرية عن لون من المفارقة الغريبة، وتبدو هذه المفارقة في إظهار البشر، وإخفاء الحقد والضغينة ، وفي التقرب

١- ديوان الماحى/٢٢٧.

٢- الأبيات من بحر البسيط التام.

إلى الآخرين في وقت الرخاء، والابتعاد عنهم في أوقات الشدة والمحنة، وهي أمور غريبة عن مجتمعنا، لذا كانت محل سخرية وتهكم.

*ويقول الشاعر **"محمد الأسمر"** ساخرا من تفشي مرض التلون والرياء في مصر بصورة تثير الدهشة والقلق في نفس الوقت[1]:

وأسباب العلا في مصر شتى ... وأفضلها التلون والرياء
فكن فيها كمثل أبي رياح ... يدور كما يدور به الهواء
وكن ماء بها في كل آن ... يكيفه الوعاء كما يشاء[2]

يتندر الشاعر **"محمد الأسمر"** – في هذا النص – حين يكشف عن السر الذي ينال الإنسان به المجد والعلا في المجتمع المصري،وهو "التلون"، ومعناه أن يتلون الإنسان بكل الألوان والأصباغ، وألا تكون عنده قيم ثابتة، أو مبادئ يحرص على حمايتها من المساس طالما أن ذلك يوصله إلى ما يصبو إليه.

وتكمن السخرية في بيت الشاعر الأخير: حين يضع وصفا للإنسان المتلون المتغير- حسب ما تقتضيه مصلحته الشخصية – فيشبهه بالماء، الذي يتكيف لونه مع لون الإناء الذي يوضع فيه، فهو مع كل إناء بحال وشكل.

وهي سخرية لاذعة، ومفادها: أن الإنسان المتلون، لا لون له في الأصل كالماء، فهو فاقد لكل الألوان ، بل فاقد لهويته !

*ويقترب الشاعر "محمود أبو الوفا" من موضع الداء أكثر من سابقه، حين يقول ساخرا من تلون بعض الناس مع رؤسائهم ؛ طلبا للرضى والعلا[3]:

إذا شئت أن ترقى بمصر إلى العلا ... فهاك طريقا – للمعالي – مجربا
لكل رئيس رح بوجهك كله ... فكل رئيس يلتقي فيك لولبا[4]

١- ديوان الأسمر/ ٤٨٢ .
٢- الأبيات من بحر الوافر التام.
٣- محمود أبو الوفا دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه/١١٠ .
٤- البيتان من بحر الطويل .

يرسم الشاعر- هنا – طريقا سهلا ومجربا لكل من أراد الوصول إلى المعالي – وذلك على سبيل السخرية والتهكم- فينصح من أراد سلوك هذا الباب: أن يتعامل مع كل رئيس يرأسه بالطريقة التي تستجلب رضاه، وأن يتملق له، ويزيد في الثناء والتودد له فوق ما ينبغي،وبذلك يصبح هذا الإنسان جسما مطاطا يجد فيه كل رئيس ما يسره ويرضي غروره.

وتتجسد السخرية – هنا – من خلال هذه الصورة الممتهنة التي يقدمها النص لهذا الإنسان المتلون، والذي يبدو فيها وقد أرهق نفسه سعيا وتلونا لإرضاء كل رئيس أو مسئول.

*ويبدو أن النفاق والرياء مرض مزمن، حتى لا يكاد يشفي منه جيل من الأجيال فقد ظهرت بعض ملامحه – أيضا – خلال النصف الثاني من القرن العشرين بصورة بشعة ومخيفة.

فهذا الشاعر **"العوضى الوكيل"** يقول ساخرا من المنافقين والمرائين الذين يعيشون في المجتمع تحت عباءة التلون والتقلب[1]:

لسان بالثناء عليك رطب ... فهل تدرى بما تحت اللسان

وأقوال مدبجة الحواشي ... لها سم كسم الأفعوان

وجوه في لقائك ضاحكات ... وأضلاع على السوءى حوان

فلا يغررك من راض رضاه ... فإن رضاه رهن بالزمان[2]

يسخر الشاعر – هنا – من صورة من صور النفاق والرياء التي يغص بها المجتمع المصري المعاصر، وهي صورة ذلك الإنسان الذي يبالغ في الثناء عليك، ويصنع لك بألفاظه أهراما من المدح، بينما هي – في حقيقة الأمر- سموم قاتلة ، تشبه سموم الأفاعي.

كما يسخر من صورة النفاق المتجلى في تلك الوجوه التي تلقاك بالبشر والتهلل والطلاقة ، بينما هي مطوية على البغض والكراهية.

١- ديوان شفق/١٩، ٢٠ ،دار الزيني للطبع والنشر، القاهرة ١٩٥٩م.
٢- الأبيات من الوافر التام.

وتدل السخرية-هنا- على رفض هذا اللون من النفاق ؛ لأنه يمثل لونا من الخديعة والمكر السيئ الذي يحاربه الإسلام، ويدعو إلى نبذه في العلاقات الاجتماعية بل يحتقر كل من يمارسه بهذه الصورة مع إخوانه في المجتمع.

وفي البيت الثالث تبدو المفارقة الغريبة بين صورة الوجه وصورة القلب عند اللقاء فالأول باش ضاحك، والثاني عابس كاره.

*وقد شارك الشعر الحر – أيضا – في محاربة هذه الظاهرة ورفضها، نجد ذلك في قول الشاعر **"عبد المنعم عواد"** ساخرا من هذه الظاهرة[1]:

- أن تطعنني هذا شأنك
- تشرب مني حتى آخر قطرة دم، هذا جائز.
- لكن غير الجائز والمعقول..
- هو أن تخفي عني الخنجر
- خلف ستار البسمة والأحضان !!

يسخر الشاعر – هنا – من سياسة الخداع والمكر التي يتخذها كثير من الناس مذهبا لهم في الحياة، فيتعاملون مع الآخرين برقة وحساسية مفرطة، وهم يخفون خناجرهم المسمومة خلف ستار كثيف من البسمات والأحضان .

والسخرية تتجسد –في هذا النص- من خلال روح المفارقة التي تشيع فيه، وذلك حين يظهر المنافق في صورة متلونة، تظهر الوداد وتخفي المكر والخديعة.

*ومن ملامح النفاق والرياء المتفشية في المجتمع المصري – أيضا - : التصفيق لأصحاب الكلمة والسلطان، وللأدعياء الذين وصلوا إلى مناصبهم عن طريق التسلق والنفاق.

يقول **"محمود أبو الوفا"** ساخرا من تفشي هذه الظاهرة ضمانا للعيش الرغيد[2]:

١- الأعمال الكاملة، ج٢/ ٣١٨، ٣١٩ . "الرجز الحر".

٢- محمود أبو الوفا – دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه/١١٦ "الوافر التام".

ضـــمان أن تعـــيش بمـــصر عيـــشا رغيـــدا لا تنغـــصه الليـــالي
فنـــافق مـــا اســـتطعت بهـــا نفاقـــا وعـــش ذنبـــا لأصـــحاب المعـــالي

فالشاعر هنا – يضع – على سبيل السخرية – أسسا للحياة الكريمة التي لا تنغصها هموم الليالي، وهي أن ينافق الإنسان ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وأن يعيش –حياته – ذنبا لأصحاب الكلمة والسلطان.

والسخرية – هنا – تتجسد من خلال اللغة والموقف المتناقض، الذي تأتي فيه النتائج على عكس المتوقع، حيث إن النفاق والسعي في ركاب أصحاب الكلمة والسلطان ليس هو الضمان الحقيقي للعيش السعيد.

*وهذا شاعر النيل **"حافظ إبراهيم"** يسخر من تفشى آفة الرياء والنفاق في صورة مساندة وموالاة أصحاب الكلمة المتطرفين ، وصب المدائح عليهم[1]:

وهـــذا يلـــوذ بقـــصر الأمـــير ويـــدعو إلى ظلـــه الأرحـــب
وهـــذا يلـــوذ بقـــصر الـــسفير ويطنـــب في ورده الأعـــذب
وهـــذا يـــصيح مـــع الـــصائحين علـــى غـــير قـــصد ولا مـــأرب

فحافظ إبراهيم – هنا – يصور آفة النفاق في صورة ساخرة ، تنفر أصحاب الطبائع السليمة من الاقتراب من محيطها، ذلك لأن النفاق والمداهنة من الأخلاق الدنيئة التي تشوه المجتمع ، وتوقف نموه وتطوره.

وقد ظهر ذلك في انقسام الرأى السياسي في مصر، ففريق مع الخديوى، وآخر يناصر دار العميد الإنجليزي، وثالث يصيح مع الصائحين، وهو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وإنما هو منافق يطل برأسه على كل الطوائف، ويوهمها أنه يعمل في اتجاهها.

١- ديوان حافظ إبراهيم/ ٢٥٧ . "المتقارب التام".

وتكمن السخرية في تكرار اسم الإشارة (هذا) وتكراره يدل على كثرة المنافقين والمرائين، الذين يحاولون التزلف لكبار المسئولين، ليحسبوا حتى من جملة خدمهم.

*ويقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من متمرسى النفاق والرياء، الذين يصفقون لكل دعى[1] :

كل من صاح بالنبوة فينا ... قام أوس وخزرج ينصرونه

فتنوه عن نفسه فتعالي ... وادعى خلق عصبة يخلقونه

ملئوا رأسه من الوهم حتى ... ظن إثما أن النبوة دونه

وله المعجزات: وجه صفيق ... يعجز الصخر أن يكون قرينه

غاض ماء الحياء من وجهه الصلب ... فلا يكسر الحديد متينه

يتلقي وحي السماجة والحمق (م) ... ويوحي لعصبة يتبعونه

ولديه آى من العى إن را (م) م ... حديثا لم يستطع تبينه

معجزات النبي علم وهذا ... معجز بالجهالة المأفونة

ليس ذنب الدعى هذا ولكن ... ذنب شعب بالزور يمتدحونه

فالشاعر – في هذا النص – يسخر من هؤلاء المنافقين المرائين، الذين يصفقون لكل دعى، ويطيرون وراء كل مناد، فينفخون فيه من الوهم أطنانا، حتى تتضخم ذاته، ويظن نفسه فوق رتبة الأنبياء.

وتكمن السخرية – هنا – في نوعية المعجزات التي يثبتها الشاعر لهذا الدعى، الذي صدق خداع المنافقين ، وتهليل المرائين.

فمن معجزاته:صفاقة الوجه وصلابته، وجفاف ماء الحياء من وجهه والسماحة والحمق، والعى... وكلها صفات تعكس عنف السخرية وشدتها.

١- ديوان أحمد الزين/٣ . "الخفيف التام".

كما تكمن السخرية – في بيت الشاعر الأخير- الذي ينفي فيه الذنب والإثم عن هذا الدعى الذي تضخمت ذاته ، وانتفخت أوداجه من كثرة المدح والثناء، وإنما الذنب والإثم على هؤلاء الأدعياء الذين يصفقون لكل دعى، ويمتدحون كل ناقص بما ليس فيه.

وهي سخرية لاذعة من كل منافق يمدح غير بما ليس فيه؛ خداعا، وتضليلا أو جريا وراء أرب شخصي ، وغاية سافلة.

*ويقول الشاعر **"محمود أبو الوفا"** ساخرا من ظاهرة تشجيع الأدعياء، والتملق إليهم[1]:

أكل مهوش حذق الكلاما بوادي النيل يـــــــــدعى عبقريـــــــــا[2]

فيـــا خـــوفي غـــدا لـــوجـــاء حـــاو نجـــن بـــه وندعـــو نبيـــا

يسخر **"أبو الوفا"**- في هذين البيتين – من ظاهرة تشجيع الأدعياء ، ووصفهم بالعبقرية زورا وبهتانا، وهي ظاهرة متفشية في مجتمعنا المصري، وهي تعد من الأمراض الخطيرة التي تجعل الرؤية غائمة، وتذر الحق باهتا.

والسخرية – هنا تتشكل من خلال اللغة والموقف المتناقض، فالمهوش عبقري والحاوي نبي بلغة النفاق، وهنا تظهر خطورة النفاق بوصفه مرضا اجتماعيا ، كما تظهر قيمة السخرية ودورها الإيجابي في الكشف عنه، وإيضاح الموقف دون زيف.

*ومن ملامح النفاق والرياء المتفشى في المجتمع المصري – أيضا – ما قد يبدو من التضليل والتمويه والخداع في تعامل الناس بعضهم مع بعض؛ بحجة أن ذلك ضرب من الكياسة في المعاملة؛ لكنه – في واقع الأمر- مكر سيئ، يحاربه الإسلام ويدعو إلى نبذه في العلاقات الاجتماعية.

فالتضليل والتمويه والخداع إذن **"من أفتك الأمراض، التي تهدد وحدة المجتمع،إذ تقطع العلاقة بين أفراده، وتمزق الروابط التي يقوم عليها بناء الحياة الاجتماعية فتقطع**

١- محمود أبو الوفا – دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه/١١٣ ، "الوافر التام".

٢- المهوش: هو الذي يخلط الأمر عليك على جهة الإفساد.

أوصال الأمة، بحيث لا تقوى على بناء، ولا تستطيع المحافظة على ما لديها من إنجازات حضارية ، بل ينهار كل ما عندها بمجرد وجود هذه الظواهر الاجتماعية، التي تفكك تماسك الأمة وترابطها" [1].

*يقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من تفشى آفة التمويه والمخادعة والإدعاء في المجتمع المصرى[2]:

قد تفشى التمويه في مصر حتى ... تحسب الزهر موهوا تزيينه

ومحا الادعاء كل يقين ... فشككنا في الشمس وهي مبينه

كل يوم يكرمون دعيا ... كان عدل الجزاء لو يرجمونه

كلما أرسل الحمار نهيقا ... ظن أهل السماء يستمعونه

ويخال السبع السماوات نشوى ... من فيوضات جهله والرعونه

يسخر الشاعر – هنا – من تفشى آفة التمويه والإدعاء الكاذب في المجتمع المصري فقد تفشت هذه الآفة بصورة تجعل الإنسان يتشكك في أن يكون التمويه والخداع قد وصل إلى ألوان الزهور – التي نراها في الحدائق والبساتين- فطلاها بطلاء كاذب!

حتى الشمس المبينة في السماء، قد محا الادعاء كل يقين بوجودها، فأصبحنا نتشكك في وجودها !!

وتكمن السخرية – في هذا النص – في البيت الثالث، الذي يظهر الشاعر فيه مدى التناقض الفظيع بين ما ينبغي أن يكون وبين ما هو واقع، فالواقع أن الدولة تقوم كل يوم بتكريم بعض الأدعياء الذين لا يستحقون التكريم، والذي كان ينبغي أن يكون، هو أن تنفذ الدولة فيه عدل الله، فترجمه، لا أن تكرمه، وتعلى من شأنه، وكفي بجهله ورعونته مدعاة إلى ذلك !!

١- مجلة الأزهر، العدد السابع/١٠٧٧ ، رجب ١٤١٩هـ - نوفمبر ١٩٩٨م بتصرف يسير.

٢- ديوان أحمد الزين/٣ . "الخفيف التام"

*ويقول **"حافظ إبراهيم"** ساخرا – أيضا – من تفشى التضليل والتمويه بين بعض أبناء المجتمع المصرى من أرباب الأقلام[1]:

وأديـــب قـــوم تـــستحق يمينـــه ... قطـع الأنامـل أو لظـى الإحـراق
يلـــهو ويلعـــب بـــالعقول بيانـــه ... فكأنـــه في الـــسحر رقيـــة راقـــي
في كفـــه قلـــم يمـــج لعابـــه ... سمـــا وينفـــثه علـــى الأوراق
يـــرد الحقـــائق وهـــي بـــيض نـــصع ... قدســـية علويـــة الإشـــراق
فيردهـــا ســـودا علـــى جنباتهـــا ... مـــن ظلمـــة التمويـــه ألـــف نطـــاق
عريـــت عـــن الحـــق المطهـــر نفـــسه ... فحياتـــه ثقـــل علـــى الأعنـــاق
لـــو كـــان ذا خلـــق لأســـعد قومـــه ... ببيانـــه ويراعـــه الـــسباق

يسخر "حافظ إبراهيم" – في هذا النص – من بعض أبناء مصر من أصحاب الأقلام ومحترفي الكتابة، بسبب ما ابتلى به بعضهم من تمويه وخداع وتغليف للحقائق فبعض الكتاب يرى الحقائق ظاهرة جلية، فيزورها بقلمه على القراء، ويحوطها بالأكاذيب، وأخيلة الشر، حتى يردها مظلمة سوداء، لا يظهر فيها الحق.

وتكمن السخرية – في البيت الثالث – حين يشبه الشاعر فيه المداد الذي يخرج من أقلام هذه النوعية من الكتاب بالسم القاتل، بجامع الأثر المضر المترتب على كل منهما.

كما تكمن السخرية – في البيت السادس – حين يصف الشاعر حياة الكاتب الذي يخادع ويموه بأنها ثقل على الأعناق، فهو إذن ثقيل على النفوس، مبغض إليها غير مرغوب في حياته.

وهذه سخرية موجعة، تدل على رفض النفاق، وتدعو إلى محاربته، وتطهير المجتمع من شتى صوره، التي تناقض سلامة المنطق والسلوك.

١- ديوان حافظ إبراهيم،/٢٨١، ٢٨٢ . "الكامل التام"

ويقول الشاعر الدكتور **"يوسف القرضاوى"** ساخرا من ظاهرة التضليل والتمويه التي بدت في إطلاق بعض الألقاب جزافا ، وإضفاء جو من القداسة المزيفة على غير من يستحق[1]:

فكم سافح قد لقبوه بفاتح ... وكم مسرف سموه ذا الكرم الرحب

وكم فاجر باغ مشوا في ركابه ... وسموه ليثا وهو أدنأ من كلب

وكم ولغت فيحرمة الناس كفه ... فغطوا عليها كالخضاب على الشيب

يسخر **"القرضاوى"** في هذا النص من لون من ألوان النفاق والرياء الذي تفشي في المجتمع المصري، وهو : تزيين الباطل، والادعاء بأنه حق، وإعطاؤه ألقابا رنانة تغطى على عيوبه، وتظهره في صورة الحق والعدل.

فسافح الدماء – في عرف هؤلاء المنافقين – فاتح، والمسرف: صاحب كرم واسع والفاجر الباغي على حقوق الآخرين: أسد هصور، وإن كانت رتبته في طابور الإنسانية أنه أدناء من الكلب.

ولعل في هذا التناقض الغريب، ما يعكس لنا خطورة هذه الأمراض الاجتماعية ويعكس لنا- في الوقت نفسه- الدور الإيجابي للسخرية حين تقدم بمحاربة هذه الرذائل والكشف عن الخلل وتعريته أمام الناس، بلغة قد تكون عنيفة في بعض الأحيان.

*ومن ملامح النفاق والرياء – أيضا – ما قد يبدو في المجتمع من امتنان بعض الأغنياء بإحسانهم إلى غيرهم من ذوي الحاجات.

ومن ذلك قول الشاعر: **"أحمد الكاشف"** متهكما بهذه الظاهرة[2]:

لا أرتجي الإحسان من موسر ... يمتن بالفضل على مرتجيه

لا يكتفي أجرا على صنعه ... بربحه الشكر ولا يرتضيه

١- نفحات ولفحات/ ٥٩ . "الطويل"

٢- ديوان الكاشف،/١٤٠

فـــــيملأ الآفـــــاق ذكـــــرا لمـــــا يقـضي مـن الحاجـات عجبـا وتيـه
كأنـــــه مـــــا جـــــاد إلا لكـــــي يعلـــن إعـــسار الـــذي يجتديـــه [1]

يتهكم الشاعر **"أحمد الكاشف"** – في هذا النص – بالأغنياء الذين اتخذوا من أموالهم وسيلة إلى التعالي والتعاظم على الفقراء والمحتاجين.

فبعض الأغنياء لا يكفيه أن يشكر الفقير له صنيعه معه، وإنما الذي يكفيه: أن يملأ الآفاق ذكرا وامتنانا على من أحسن إليه وأعانه، وكأنه ما جاد إلا لكي يعلن للناس إعسار الإنسان الذي طلب منه العون والمساعدة !

وتتجسد السخرية – هنا – من خلال هذا التناقض الذي تبرزه الأبيات، وقد ساعدت اللغة في ذلك، فقوله:"يملأ الآفاق ذكرا "تصور للرغبة في التشهير بالفقير،كما أن قصر الجود – في البيت الأخير – على الرغبة في الإعلان عن إعسار المجتدى مما يبرز ذلك.

٢.التملق:

التملق: هو المبالغة في التودد والدعاء والتصنع للغير فوق ما ينبغي . ورجل ملق : يعطي بلسانه ما ليس في قلبه، وفي الحديث: **"ليس من خلق المؤمن الملق"** [2].

والتملق للآخرين، مظهر من مظاهر الانحراف الخلاقي والسلوكي في المجتمع المصري.

ولعل مبعثه: إحساس المتصف به بضعف في شخصيته، وشعوره بالهزيمة التي تلون داخله بألوان كثيرة ترضي غرور كل من يتعامل معهم، أو يتصل به ولهذا، فهو يعد مرضا اجتماعيا خطيرا، ينبغي التصدي له، ومحاربته بكل الوسائل.

والفرق بينه وبين النفاق – من وجهة نظري – أن النفاق مبعثه الكره والبغضاء.

وقد تصدى شعراء مصر – في القرن العشرين – لهذا المرض، وأعلنوا عليه الحرب من خلال ما نظموه من أشعار ساخرة تبغضه إلى الناس، وتبصرهم بنتائجه الوخيمة.

١- الأبيات من بحر السريع التام (عروضه صحيحة، وضرب مطوى موقوف).
٢- انظر:لسان العرب، ج١٠/ ٣٤٧ .

*يقول الشاعر "**محمود غنيم**" ساخرا من تفشى روح التملق في المجتمع المصري بصورة غريبة [1]:

إن شـئت أن تحيـا بمـصر، فـلا تكـن ... حـى الـضمير تعـش خلـى البـال

واركـع هنـاك أمـام كـل رياسـة ... ولـو أنهـا خلعـت علـى تمثـال

واظفـر بـذي جـاه تعـش في ظلـه ... أو عـش بـلا جـاه ولا أمـوال

خل النعيم لمعشر خفضوا لـه ... هاماتهم مـا للنعـيم ومالـي؟

اللّه يعلـم لـو أردت بلغتـه ... لكـن مـاء الوجـه عنـدي غـال

يسخر الشاعر"**محمود غنيم**"-في هذا النص-من ضغوط الحياة السياسية الفاسدة التي ترتب عليها كثير من المفاسد الاجتماعية، فالحياة الاجتماعية السعيدة في ظل نظام سياسي متغطرس لها متطلبات، منها: موت الضمير، والخضوع أمام كل رياسة حتى ولو كان هذا الرئيس تمثالا،ثم الاحتماء بذي جاه،والتودد إليه فوق ما ينبغي ؛ طلبا للمصلحة والحماية.

وتكمن السخرية – في هذا النص – من خلال عنصر المفاجأة ، والتوجيه المتعاكس مع ما يقتضيه الموقف وهذا يتجلي في التوجيه إلى "**موت الضمير، والخضوع أمام كل مسئول**"، ثم إن انتزاع الأمر بالركوع من مقامه الأصلى واستعماله في مقام أبعد ما يكون منه مناسبة، فيه كثير من السخرية والتهكم .

*ويقول الشاعر "**محمود أبو الوفا**" ساخرا من ظاهرة التملق والمداهنة، التي تفشت بين أبناء المجتمع المصري، وأصبحت وسيلة من وسائل إحراز المجد والعلا[2]:

رقيـك فيـه برهـان صـريح ... علـى الخلـق الموصـل للترقـي

فإنـك طاعـة عميـاء تمـشى ... بحـق للـرئيس وغـير حـق

كأنـك لم تكـن يومـا بحـر ... فيالـك بيننـا عنـوان رق[3]

١- الأعمال الكاملة، ج١/، ٢٤٠ "الكامل التام"

٢- محمود أبو الوفا- دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه /١١١

٣- الأبيات من بحر الوافر التام.

يسخر الشاعر – هنا – من متملق ألف هذا الداء، واتخذه وسيلة من وسائل الترقي في الحياة ،فالغاية عنده تبرر الوسيلة ، مهما كانت هذه الوسيلة !

وتكمن سخرية الشاعر من هذا الإنسان – في بيته الثاني – حين يصفه بأنه طاعة عمياء تمشى لرئيسه وتهلل له بالحق وبالباطل وكأنه – لخضوعه – فقد إرادته التي هي أهم مظهر من مظاهر حريته فأصبح بذلك عنوانا للرق والاستعباد! وانتزع لفظ **"الرق"** من جو الاستعباد والمهانة، واستعماله في هذا المقام، وهو التملق للغير، فيه كثير من السخرية التي تتصف بالعنف والشدة.

*وعلى نفس هذا الدرب تبدو خطا الشاعر **"إسماعيل صبري باشا"** الذي يسخر من المتملقين والمتسلقين والانتهازيين الذين ينالون العلا بلا استحقاق[1]:

هنيئـا – بـرغم العلـم والفـضل والتقـى ... عـلا نلتهـا قـسرا وحاولتهـا خـتلا

تـسلقتها لمـا رأيـت حماتهـا ... يـذودون عـن أبوابهـا الوغـد والنـذلا

يهنئ الشاعر في هذين البيتين – على سبيل السخرية والتهكم – إنسانا مصابا بآفة التملق والمداهنة، فيقول له: إنك وثبت إلى ذروة المجد والمعالي من غير طريقها الشرعي، وذلك حين رأيت أن حماة المعالي يذودون عن أبوابها الأوغاد والأنذال.

والسخرية – هنا – ترسم صورة مضحكة لهذا المتملق، حين تظهره وقد تسلق جدران المعالي، محاولا إقحام نفسه بين أصحابها، حين أعيته الحيل عن أن يصل إليها من أبوابها الشرعية.

*ويقول **"أحمد الزين"** ساخرا من أهل الملق، الذين أفسدوا الحياة الاجتماعية بنفاقهم، وتولهم بأفواههم ما ليس فى قلوبهم[2]:

يـا لـسان الحـق لا تنطلـق ... فـاز بـالحظوة أهـل الملـق

١- ديوان إسماعيل صبرى باشا/٩٣ . "الطويل".

٢- ديوان أحمد الزين/١٢ ."الرمل التام"

علمونـــا يـــا أولى الحظـــوة مـــا ... قـــد علمـــتم مـــن طـــلاء الخلـــق
وامنحونـــا ذلـــك الـــصبغ الـــذي ... يظهـــر الحـــسن ويخفـــي مـــا بقـــي
أو فـــــدلونا علـــــى صناعـــــه ... نجتليـــــه ببقايـــــا الرمـــــق[1]
أي صـــــبغ هـــــذا مـــــا أعجبـــــه ... صـــــادق الغـــــش وإن لم يـــــصدق
ألـــبس الـــشمس ظلامـــا دامـــسا ... وكـــسا الإظـــلام شمـــس المـــشرق
علمونـــا نـــصف المـــرء بمـــا لـــيس فيـــه ... مـــــن ينافـــــق ينفـــــق

ينادي الشاعر – هنا – "لسان الحق" ، وينصحه أن يلتزم الصمت؛ لأن أحدا من الناس لن يستمع إليه، في ظل ظروف اجتماعية فتح الناس فيها عيونهم وقلوبهم نحو المتملقين والانتهازيين، الذين ملأوا الحياة ضجيجا وصياحا، متسترين خلف ستار القيم والمبادئ.

وتتجسد السخرية- هنا- من خلال التعبيرات الإنشائية التي تطغي على الأسلوب، فقد تعاونت بعض الأدوات الإنشائية من نداء إلى نهي إلى أمر لتجسيم السخرية، وإبراز معالمها.

والنهي عن الانطلاق في الكلام حين يوجه إلى "لسان الحق" يكون ذلك سببا قويا يدفع إلى السخرية؛ لأن المفروض هو أن يكون العكس ، بأن يتوجه النهي إلى أهل الملق.

كما أن صيغة الأمر في الأفعال: علمونا، ودلونا، كلها تتعاون لإظهار السخرية والتهكم بالمتملقين والمخادعين.

*وفي النصف الثاني من القرن العشرين، واصل الشعراء المصريون جهادهم ضد هذه السلبيات والنقائص، والانحرافات الأخلاقية، التي تصيب المجتمع بالضعف والوهن. يقول الشاعر "عمر عسل"[2] ساخرا من الوصوليين والانتهازيين[3]:

بـــــالرقص نلـــــت مكانـــــة ... وغـــــدا ســـــترتقي بالوصـــــال

١- نجتليه: ننظر إليه، والرمق: بقية الروح ، جمع أرماق.
٢- ولد الشاعر عمر عسل في محافظة الشرقية عام ١٩٢٧م ، ويكتب الشعر والزجل والقصة الطويلة، والسيناريو (ينظر في الترجمة: ديوان قطرات الشهد، دار مأمون للطباعة ١٩٧٩م (غلاف الديوان) .
٣- قطرات الشهد/١٢٤ ، ١٢٥ .

زمـــن يـــضيع بـــه الكريـــ (م) ـــم الحـــــر محمـــــود الخـــــصال
ويعـــــــزكـــــــل منافـــــــق ومـــــصفق في كـــــل حـــــال
زمـــن تـــبرأ منـــه تـــا (م) ريـــخ العبـــــور بـــــلا جـــــدال
يـــا مـــن نفـــشت الـــريش تـــز (م) هـــــو بالحماقـــــة في اختيـــــال
غرتـــــــك دنيـــــــاك التـــــــى كـــم حطمـــت قمـــم الجبـــال
وغـــدا نـــراك علـــى الطريـــ(م) ـــق تمـــــد كفـــــك بالـــــسؤال

فالشاعر –هنا – يسخر من هؤلاء المتملقين الذين يجيدون الرقص أمام كل مسئول ويحسنون اللعب والتسلق على كل الأحبال، رغبة في تحقيق مطامعهم ومآربهم الشخصية.

وتكمن السخرية في البيت الأول، وذلك حين ينتزع الشاعر لفظ "الرقص" من مقامه المعروف، ويستعمله في مقام أبعد ما يكون مناسبة عن مقامه الأصلي، وهو التملق للمسئولين والتسلق على جميع الأحبال.

وهو بذلك يحدث لونا من المشاكلة العقلية بين الرقص والتملق، وفي ذلك لون عنيف من السخرية.

*ويقول الشاعر "**عبد المنعم عواد**" ساخرا من هذه الظاهرة في شكل شعري جديد[1]:

- في زمن أمهر من فيه القردة واللبلاب..

- تشمخ فيه شجيرات العليق !!

- نفض كتفك !

- من يدرينا ؟ عل هناك على كتفيك..

- يتسلق إنسان ما !!

١- الأعمال الكاملة، ج١/ ٣٢٠ ، "المتدارك".

يسخر الشاعر من ظاهرة الانتهازية والتسلق، التي يسلكها بعض أصحاب النفوس الضعيفة في المجتمع المصري؛ رغبة في العلو في الأرض، والصعود إلى المجد، وتحقيق الذات وذلك عن طريق تحطيم الآخرين، والصعود على حطامهم ، فيكون مثل هؤلاء كالعليق الذي يتعلق بالأشجار ويتلوى حولها صاعدا إلى القمة على حساب الأشجار الأخرى التي يكتم أنفاسها ، ويفقدها جمالها في رحلة صعوده.

ولعل السبب في ذلك: هو غيبة الضمير، وغيبة القانون، أو عدم اتباع الناس إياه أو عدم اتباعهم شريعة الله .

وتكمن السخرية – هنا – في السطر الثالث وما بعده، حين يرسم الشاعر صورة إنسان انتهازي يتسلق على أكتاف الآخرين ، وهم لا يشعرون به !

وهي سخرية لاذعة من كل وصولي انتهازى متسلق ، يطأ الآخرين بقدميه في سبيل مصلحته الشخصية.

*ويقول–أيضا–من قصيدته**"من لا يحسن الزمر في زمن الزمارين سنة ١٩٨٠م"**[١]:

- لو أنك تحذق فن الزمر كبعض الزمارين !
- لو أنك تتقن فن المشي على الحبلين كبعض المشائين ..
- ما عشت مكانك خلف الصف تنوء بما حملت من الأسفار..
- تندب أيام العمر الضائع بين الحكمة والأشعار!!

يسخر الشاعر – هنا – من بعض الأمراض الاجتماعية المتفشية في البيئة المصرية مثل مرض التملق والتزلف للآخرين بما يرضي غرورهم ، حتى لقد أصبح من لا يحسن هذا السلوك المنحرف ، لا مكان له بين الصفوف.

فمن لا يحسن الزمر في زمن الزمارين، يداس تحت الأقدام ، ويلقي كما مهملا في مؤخرة الصفوف !

١- الأعمال الكاملة، ج١/ ١٤٤ ، "الرجز".

وتكمن السخرية في هذا النص في استعمال بعض الكلمات في غير موضع استعمالها الأصلي، فالزمر – مثلا – له جوء المملوء بالضجيج والصخب، والمشى على الحبلين – أيضا – له جوء الذي يحاط بالتأرجح والحذر من السقوط المفاجئ واستعمالهما مع المتسلقين والوصوليين فيه لون من المشاكلة العقلية بين الطرفين ٠٠ فالسخرية تتجسد من خلال أمرين: اللغة والموقف٠

٣.البخل:

البخل مرض اجتماعي فتاك، وهو من العيوب الخلقية التي لا تساير المثل العليا في المجتمع ٠

لذا: عنيت المجتمعات منذ القدم بالتنبيه على هذه الظاهرة؛ ليأخذ الناس منها حذرهم، وهي "مادة خصبة للسخرية في كل المجتمعات والعصور؛ لأنها تعني الانفصال عن المجتمع ، وضعف الشعور بالمسئولية، والعبودية للمادة، وقد تؤذي المجتمع، وقد تؤذي صاحبها نفسه" [١].

وانطلاقا من هذه الرؤية ، وجدنا البخلاء والأشحاء من أبغض الناس إلى المجتمع لذا أطلق عليهم سهامه، وأعلن عليهم الحرب، وصيرهم مادة للسخرية والتهكم والتندر ٠

ولم تكن نظرة المجتمع إلى البخل والبخلاء بهذه الصورة ، رغبة منه في الانتقام أو التشفي منهم، فهم أفراد كغيرهم في المجتمع، ولكنه أراد أن يطهر نفوسهم من النقص الذي يضربها فالهدف إذن: هو الإصلاح والبناء لا الإفساد و*ومن شواهد ذلك قول "أحمد شوقي" ساخرا من البخل الذي أعيا كل معالج" [٢]:الهدم٠

١- السخرية في أدب المازني، د٠ حامد عبده الهوال/٥٦ ٠
٢- الشوقيات، المجلد الأول، الجزء الأول/٧٠،

ولـــولا البخـــل لم يهلـــك فريـــق ... علـــى الأقـــدار تلقـــاهم غـــضابا

تعبـــت بأهلـــه لومـــا، وقبلـــي ... دعـــاة الـــبر قـــد ســـئموا الخطابـــا

ولـــو أنـــي خطبـــت علـــى جمـــاد ... فجـــرت بـــه الينـــابيع العذابـــا

وشـــافي الـــنفس مـــن نزعـــات شـــر ... كـــشاف مـــن طبائعهـــا الـــذئابا" [1]

يسخر **"شوقي"** – في هذه الأبيات – من ظاهرة البخل لدى بعض الأفراد في المجتمع المصري،ويذكر أنه تعب من لوم أهل البخل على بخلهم، ومن قبله . تعب المصلحون كذلك، ولكن دون جدوى ، فالبخل طبع مركوز في النفس لافكاك منه.

وتكمن السخرية هنا في اختيار الشاعر للبخيل نظيرا من الحيوانات، وهو الذئب وقد عرف الذئب في الأدب العربي على امتداد عصوره بالغدر، فكما أن الغدر طبع لازم للذئب لا يفارقة،فالبخل طبع لازم لصاحبه لا يفارقه،ومن يحاول تخليص النفس من بخلها كمن يحاول تجريد الذئب من ألصق الصفات به، وهو الغدر، والجمع بين البخيل والذئب بهذه الصورة،يحدث في الخيال لونا من المشاكلة،وهي مما يزيد من عنف السخرية وقسوتها.

*ويقول الشاعر **"على الجارم"** ساخرا من بخل بعض الأثرياء في شهر رمضان، وقد نزل ضيفا عليهم [2]:

أتـــي رمـــضان غـــير أن ثراتنـــا ... يزيدونـــه صـــوما تـــضيق بـــه الـــنفس

يـــصومون صـــوم المـــسلمين نهـــاره ... وصوم النصارى حينما تغرب لشمس

يسخر **"على الجارم"** من بخل بعض الأغنياء في شهر رمضان وتقتيرهم على أنفسهم فهم مع ما في الصوم من حرمان للنفس من شهوة الطعام، بل إنهم يزيدون في هذا الحرمان بالتضييق على أنفسهم عند غروب الشمس، فيصومون عن كل ما فيه روح

١- النزعات: الوساوس. والأبيات من الوافر التام.

٢- ديوان الجارم، ج١٠٧/٤ ، "الطويل".

كالنصارى، وهذا يعني أن طعامهم جاف تعافه النفوس ؛ لخلوه مما تشتهيه النفس بعد الفراغ من صوم يوم كامل.

وتتجسد السخرية في البيت الثاني من خلال هذه الصورة التقريرية التي يرسمها الشاعر لهؤلاء الأغنياء والبخلاء، ليكشف عن بخلهم المزري، فهم يصومون بالليل كما يصومون بالنهار.

وذكر كلمة النصارى – هنا – تحمل من معاني السخرية الفجة من بخلهم ما تحمل حتى كأنهم نصارى في حالة صوم ومجاهدة للنفس.

٤.الانغماس في الشهوات:

الانغماس في الشهوات والملذات آفة أخرى من الآفات الاجتماعية التي تفشت في المجتمع المصري في القرن العشرين.

ولعل السبب في انتشار هذه الظاهرة في المجتمع، هو "ضعف العقائد الدينية وانعدام التربية الصالحة، وفساد البيئة، بالإضافة إلى تفكك ،وابط المجتمع بانعدام الوحدة التي تربط بين أفراده ،وذلك بتغاير الأفراد نسبا ولونا ولغة"(١) .

يضاف إلى ذلك:تلك الحرية الكبيرة التي ينعم بها كل فرد في المجتمع وقد فهم بعض الناس هذه الحرية فهما خاطئا.

ومما يؤسف له: أن كثيرا من أبناء المجتمع المصري، قد اتخذوا هذه الحرية ذريعة للانطلاق والتحرر من كل شئ، وهذا خطأ كبير، فـ"ليست الحرية – كما يظنها كثير من الشباب – أن ينطلق الإنسان وراء أهوائه وشهواته، يأكل كما يشاء، ويفعل ما يشاء ويحقق كل ما يهوي ويريد، فتلك هي الفوضى أولا، والعبودية الذليلة أخيرا .. فحين تستولى على الإنسان عادة الانطلاق وراء كل لذة، والانفلات من كل قيد، يكون قد استعبدته اللذة على أوسع مدى، وأصبح أسيرها ، يجرى في الحياة تحت إرادتها ووحيها لا يعمل إلا ما تريد

١- حقيقة النفس وأمراضها، عبد الرحمن فراج/٤٢، ٤٣، دار الإتحاد للطباعة والنشر (بدون تاريخ)

ولا يستطيع فكاكا مما تهوى.. فما هذه الحرية التي تنقلب إلى عبودية إلا أهون ما في الحياة من قيمة ومعنى"[1] .

وقد قام شعراء مصر في القرن العشرين ، بدور كبير في تحذير أبناء المجتمع المصري من مغبة الانغماس في الشهوات، والجرى وراء الأهواء، شاهرين سلاح سخريتهم وتهكمهم من كل من ينحرف به الطبع، أو يضل به الطريق، فتنزلق قدمه في هذه الهاوية.

وهذا هو الشاعر الإسلامي **"يوسف القرضاوى"** يسخر من آفة اتباع الهوى التى يترتب عليها كثير من المفاسد الاجتماعية، فيقول[2]:

وطائفة أخرى أطاعوا هواهمو	فجازوا إلى اللذات دربا إلى درب
يقولون ليس المرء إلا فؤاده	وكيف يعيش المرء جسما بلا قلب
فغاصوا به في الغيد والحب والهوى	**كأن لم يكن في القلب معنى سوى الحب**
إذا لم يكن في القلب دين وهمة	وبغض لطغيان فما هو بالقلب

ففي المجتمع المصري بعض من الناس يتبعون أهواءهم ، فيجرهم ذلك إلى الانغماس في الملذات والشهوات، وفي النهاية يحتجون بأن قلوبهم نظيفة وبريئة والمرء- عندهم – بقلبه لا بجسده !!

والسخرية تكمن – هنا – :في أميتهم الفكرية، وفي جهلهم بحقائق الأمور ومجادلتهم – بغير علم – في محاولة لتبرير ما هم عليه من باطل وضلال.

*ويقول الشاعر **"إسماعيل صبرى أبو أميمة "** ساخرا من ظاهرة اتباع الهوى التي تؤدي إلى التهلكة[3]:

يا ابن حواء أنت غر خصيم	وجمال الدنيا متاع فان

١- اشتراكية الإسلام، د. مصطفى السباعي /٨٧، ٨٩، بتصرف يسير، الاتحاد القومي – دار مطابع الشعب ١٩٦٢م.

٢- نفحات ولفحات/٦٠، ٦١ "الطويل".

٣- ديوان إسماعيل صبري أبو أميمة/٥٥، ٥٦، تحقيق د. محمد القصاص وآخرين، المؤسسة المصرية العامة، للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ســـاقك الطـــيش فانطلقـــت جهـــولا ... لم تفكـــر في واجـــب الإنـــسان

فتهالكـــت في اقتنـــاص الملاهـــي ... مـــستفزّ شـــراهة الحيـــوان

تـــستحل الحـــرام غـــير مبـــال ... بعـــوادي تقلبـــات الزمـــان

وتبـــيح الفجـــور نـــشوان تهـــوى ... في ديـــاجي الفـــساد والعـــصيان

وكـــأن الـــشيطان غاويـــك ألقـــي ... بـــين عينيـــك خلـــة النـــسيان

أحمـــق أرعـــن شـــقي ظلـــوم ... دنيـــوى الهـــوى كـــذوب الأمـــاني

لم تفكـــر في غـــير لهـــوك يومـــا ... بـــين خمـــر وبـــين غيـــد حـــسان[1]

فالشاعر – هنا- يسخر ويتهكم من حالة الضياع والتمزق ، التي وضع الإنسان فيها نفسه حين انساق وراء دواعي الطيش والسفه، فراح يعب من الشهوات عبا ويعانق الإثم والرذيلة متخفيا تحت ظلام الفساد والعصيان.

والنص – عند التأمل- غاص بالسخرية والتهكم، فقوله:"ساقك الطيش فانطلقت" و"تستحل الحرام غير مبال"، و"تبيح الفجور نشوان" ، و"دنيوى الهوى" و"لم تفكر في غير لهوك" كلها عبارات تصور – في قوة – بشاعة الانغماس في الشهوات ، وعدم مبالاة بعض الناس بما يترتب على ذلك من أضرار تؤذي مشاعر المجتمع ، وتهوى به إلى الدرك الأسفل في صفوف المجتمعات.

وأمر طبعي أن تتعطل الطاقات النافعة عند من يتبع هواه، وتحل محلها عوامل الدعة والكسل.

*يقول الشاعر **"عبد الرحمن شكري"** ساخرا من اتباع بعض الشباب المصري لأهوائهم وذلك من قصيدته **"صوت النذير"** [2]:

كلـــوا ونـــاموا ونـــالوا حظـــكم أبـــدا ... مـــن التثـــاؤب لا لـــوم ولا عـــذل

١- الأبيات من بحر الخفيف التام .

٢- ديوان شكري/ ١٧٣"البسيط التام".

وعـــاقروا الخمـــر والأفيـــون في دعـــة فعيـشكم مثـل ظـل سـوف يرتحـل

واسـتخبروا عـن هـوى اللـذات قاطبـة أمـا عـن العـز والعليـا فـلا تـسلوا

يسخر الشاعر **"عبد الرحمن شكري"** من سوء المسلك الذي اتبعه بعض الشباب المصري، ويطلب منهم -على سبيل السخرية والتهكم – أن يأكلوا ، ويناموا، ويأخذوا حظهم من التثاؤب والكسل، والانغماس في شهوات البدن، أما العز والمعالى فليس لهم بها شأن.

وتتجسد السخرية – هنا – من خلال هذا الدور الفعال الذي قامت به بعض وسائل التعبير الإنشائي في البيت الأول،فهي ترسم صورة مضحكة لهؤلاء الشباب وتظهرهم في صورة مهينة حقيرة، وذلك حين يوجهون طاقتهم نحو الأكل والنوم والتثاؤب وتعنف السخرية حين تجعل حظهم الذي نالوه هو "التثاؤب" وهي صورة ساخرة وقاسية.

٥ ـ السخرية من تفشي الاختلاسات والمحسوبيات والرشوة:

من الآفاق والأمراض الخطيرة التي تدل على فساد الضمير، وانحلال الخلق، وانهيار القيم والمبادئ ، آفة "الاختلاسات والمحسوبيات والرشوة" التي انتشرت في المجتمع المصري بصورة مزعجة، وقد ترتب عليها ضياع الحقوق، وإهمال النابغين، ووصول المتسلقين والانتهازيين ، وترقي الأوغاد في مختلف أجهزة الدولة .

وقد تصدى شعراء مصر في القرن العشرين لهذه الظاهرة المرضية، وقاوموها بنظمهم الساخر، الذي صب جام غضبه وسخطه على رؤوس أصحابها، بهدف القضاء على هذه المفاسد والنقائص، وتخليص المجتمع وتطهيره من جراثيمها الفتاكة التي تلقي بذورها بشراسة في القيم والأخلاق والسلوكيات الاجتماعية.

*يقول الشاعر **"محمد الأسمر"** ساخرا من تفشى المحسوبيات والرشوة ؛ وصولا إلى المآرب والمنافع [1]:

عـم الفـساد وأصـبحت طـرق الغنـى وقفـا علـى مـن يرتـشى أو يعتـدي

١- ديوان الأسمر/ ٤٨٤ وما بعدها.

وعلى الذين يتاجرون بعرضهم ... ما بين شار رائح أو مغتد
أما الشريف أخو الإباء فإنه ... يمسى ويصبح كالذليل المجتدى [1]

فالأسمر – هنا- يسخر من الفساد الأخلاقي والسلوكي الذي عم المجتمع المصري بسبب صنيع بعض النفايات المخربة في المجتمع، فقد أصبحت طرق الغني والعلا وقفا على من يستطيع تقديم الرشوة لكبار المسئولين، وعلى من يتبع أسلوب البلطجة في حياته وعلى من يقدم عرضه وشرفه رخيصا من أجل الوصول إلى أرب شخصي.

أما الشرفاء وأصحاب الأنفة والإباء فقد حيل بينهم وبين ما تهفو إليه نفوسهم في المجتمع .ولعل مكمن السخرية وقوتها يظهر- هنا- في كشفها عن لون من التناقض الفظيع الذي يعاني منه المجتمع المصري، وذلك حين يصل فيه الأوغاد والانتهازيون إلى مآربهم عن طريق الرشوة والمحسوبيات، بينما يحرم الفضلاء والشرفاء من أدني حقوقهم المشروعة. وهو أمر يؤلم النفوس، ويصيبها بموجة عالية من الغضب والثورة، ويحمل على السخرية العنيفة، والتهكم المرير.

كما تكمن السخرية في البيت الثاني في عبارة (يتاجرون بعرضهم) ومحل السخرية: أن التجارب بالعرض أمر مستغرب، ومثير للدهشة والعجب، لذا كان استعمال هذه العبارة فيه كثير من السخرية والتهكم.

*ويقول **"أحمد الزين"** ساخرا من انتشار الوساطة والمجاملات في المجتمع[2]:

ملء المناصب منهومون قد جعلوا ... من دونها سد ذي القرنين يحميها
على مناعة ذاك السد تنفذه ... عصابة تتواصى في حواشيها
من كل أخرق تنسل الحظوظ به ... إلى المراتب يسمو في مراميها
خابي القوى، عبقري الجهل، يثقله ... عبء الرياسة إذ يدعوه داعيها

١- الأبيات من بحر الكامل التام .
٢- ديوان أحمد الزين/١٥، "البسيط التام".

فالشاعر – هنا – يسخر من هؤلاء المنهومين الذين تربعوا على كراسى المناصب العليا في المجتمع ، وجعلوا بين الناس وبينها سد ذي القرنين يذود عنها،فلا يصل إليها إلا من يدفع الثمن الباهظ عن طريق الرشوة أو المحسوبية.

فيترتب على ذلك وصول نبت مر إلى بعض المناصب المهمة في الدولة، فتتسع بهم رقعة الفساد في الدولة.

وتدل السخرية دلالة واضحة على مدى التردى والفساد الذي غشى المجتمع المصري في القرن العشرين، على أيدي بعض بطانات السوء التي أخذت تتواصى بالشر والفساد في نواحي المجتمع "والذي خبث لا يخرج إلا نكدا"[١] .

* ويقول شاعر النيل **"حافظ إبراهيم"** ساخرا من انتشار الرشوة بين أفراد المجتمع[٢]:

ومهنـــدس للنيـــل بـــات بكفـــه مفتـــاح رزق العامـــل المطـــراق[٣]

تنـــدى وتيـــبس للخلائـــق كفـــه بالمـــاء طـــوع الأصـــفر البـــراق[٤]

لا شـــئ يلـــوى مـــن هـــواه فحـــده في الـــسلب حـــد الخـــائن الـــسراق

يسخر الشاعر – هنا – من استشراء مرض الرشوة بين مختلف الطبقات في المجتمع المصري، وذلك من خلال نموذج يقدمه من أرض الواقع ، فهذا مهندس مصري يعمل في هيئة تفتيش النيل العظيم، وبيده إطلاق الماء، وبيده حبسه عن أرض العمال والفلاحين الذين يمسون ويصبحون في الطين؛ كدا وراء طلب الرزق ..ثم هو يستغل منصبه وقوته، فلا يفيض عليهم بالماء إلا بالرشوة والوساطة، وليس من قانون أو رقيب يزجره عما يقوم به من سلب ونهب فيده تستحق القطع كما تقطع يد السارق الخئون.

١- سورة الأعراف ، من الآية: ٥٨

٢- ديوان حافظ إبراهيم /٢٨١ .

٣- المطراق: الذي يكثر أبواب الرزق.

٤- الأصفر البراق: الذهب ، ويريد الرشوة . "بحر الكامل التام".

ولعل مكمن السخرية يظهر – هنا – من خلال هذه الصورة الساخرة التي يرسمها البيت الثاني ليد هذا الموظف الفاسد الذي يستغل موقعه استغلالا سيئا، فيده تبدو ندية سخية بماء النيل حين يرى بريق الرشوة، بينما هي بخيلة به حين يفقده الأمل في الحصول على الرشوة، فجوده بماء النيل أو بخله به موقوف على تقديم الرشوة أو عدمها.

ولعل ذلك هو السبب الحقيقي وراء عنف السخرية في البيت الأخير، وذلك حين جعل الشاعر هذا الموظف مستحقا لحد السرقة، الذي يستلزم قطع اليد.

فالوساطة آفة اجتماعية تؤدي إلى كثرة الأمراض والمفاسد في المجتمع، لا يلبث أن ينهار صرحه، وتقوض أركانه.

ودلالة السخرية الاجتماعية هنا : أنها تدعو – في وضوح – إلى وضع الأمور في نصابها الصحيح، ولن يتيسر ذلك إلا عندما يصحو الضمير الإنساني من غفلته ، وعندئذ لا نجد إنسانا يجرى وراء درجة ليست له، ولا يختطف حق أخيه ، ولا يحمل لأحد حقدا كما لا يضمر له سوءا ، وبهذا يريح ويستريح.

٦. الغش:

الغش آفة اجتماعية خطيرة، نهي الإسلام عنها، وجعل مرتكبها ليس من المؤمنين الكاملي الإيمان، نظرا لما فيها من تدليس وخداع للآخرين.

وهذا الداء إذا نشر في مجتمع من المجتمعات، أدى ذلك إلى افتقاد الثقة بين أفراد هذا المجتمع، وإلى تمزيق عرى المودة والمحبة بينهم.

ولما كان الغش – بكل صوره وأشكاله – مخالفا لطبيعة النفس، ومخالفا للعادات والأعراف الحميدة في المجتمع، وجدنا من شعراء مصر في القرن العشرين من يتصدى لهذه الآفة ، منكرا على أصحابها سوء صنيعهم ، وشؤم مذهبهم، في محاولة لردهم عن هذا السلوك الأعوج الذي يهدم كيان المجتمع.

*يقول الشاعر "**عبد الحميد الديب**" ساخرا من لبان غاش اسمه المالكي بالحي الحسيني[1]:

بـــرئ منـــك مـــولانا ابـــن مالـــك ... رمـــاك الله في شـــر المهالـــك
لبانـــك كلهـــا ســـم زعـــاف ... ومـــن غـــش البريـــة رأس مالـــك
فويلـــك مـــن رجـــال الحـــي طـــرا ... ونـــسوته إذا علمـــوا بـــذلك

يسخر "**الديب**" في هذه الأبيات من سلوك هذا البائع (اللبان) الشاذ، حين يمزج اللبن بالماء، ويبيعه للناس على أنه لبن خالص.

ولعل مكمن قوة السخرية هنا ينبع من هذا الجناس الواقع بين كلمتي (مالك والمهالك) والذي يخيل إلى السامع لأول وهلة أن اللفظ الثاني مكرر، فإذا تنبه المتلقي بعد برهة من الوقت إلى كون اللفظين مختلفين في المعنى، كان لهذه الانتباهة أثرها في نفسه وخصوصا إذا اللفظان المتجانسان يشيران إلى موضوع السخرية، إذ ذاك تكون المفاجأة أكبر، والأثر أقوى.

وقد نصح الدين الحنيف بتجنب كل من يسعى إلى الإفساد في مواربة وخداع؛ لأنه إنسان مهين حقير، لم يرع حقوق إخوانه في المجتمع، ولم يحافظ على الروابط الاجتماعية المقدسة، فسعى إلى الإفساد فيما بينهم، فارتكب بذلك جرما في حق الجماعة يحتم على كل من يراه أن يحاربه، ومن أسلوب المحاربة: دعوة الناس إلى تجنب هذا الشخص حتى تبور صناعته بشؤم عمله الشاذ.

*ويقول "**العقاد**" ساخرا من كثرة إطلاق الأسماء على مسمى واحد بهدف الغش والخداع[2]:

يكفـــي الفتـــاة اســـم وهـــذى غـــادة ... لم تـــرض إلا باسمهـــا مثلثـــا
تعـــــددت أسماؤهـــــا لأنهـــــا ... تبـــدل منهـــا كـــل مـــا تلوثـــا

١- الأبيات في: الفكاهة في الأدب، د. أحمد الحوفي/ ج١/ ٨٩، "بحر الوافر التام".
٢- ديوان العقاد/٧٩٤ . "بحر الرجز التام"

وســـوف تبليهـــا وتلقيهـــا فـــلا يمـــسها بالـــسوء مـــن تحدثـــا

يتهكم **"العقاد"** بعادة التسمى بأكثر من اسم ، فبعض الفتيات تتسمى بأسماء عديدة ، ليخفين وراء هذه الأسماء ما يفعلنه من سوء، ومن خروج على متطلبات اللياقة في المجتمع الذي يعشن فيه.

وتكمن سخرية العقاد في تعليله لتعدد الأسماء – هنا – بأن هؤلاء الفتيات يفعلن ذلك، حتى لا يمسهن سوء المتحدثين عنهن، فإذا تحدث أحد عن "مى" بسوء، فهي (ملك) وإن تحدث عن (ملك) فهي (سعاد) وهكذا يذهب حديث الناس بددا، لا يصيب هدفا !!

- لذا نجد الشاعر **"على الغاياتي"** يتهكم بالمخادعين والغاشين، وينذرهم بسوء المصير في جهنم ، حين يقول[1]:

خـــــداع ، ويلـــــك لا تنـــــم فالـــــدهر دونـــــك يخـــــدع
اليـــوم تعلـــم مـــا جنيـــ (م) ـــت ولـــــيس علمـــــك ينفـــــع
وغـــدا تـــرى هـــول الحـــسا (م) ب ولا تـــــرى مـــــن يـــــشفع
النـــــــار دارك خالـــــــدا فيهـــــا تهـــــيم وترتـــــع
وكـــذاك عقبـــى الخائنيـــ (م) ـــن لهـــــم جهـــــنم مرجـــــع

فالغاياتي – في هذا النص – يتهكم بمصير المخادعين الغاشين ، حين تدور عليهم الدوائر، ولا يجدون لهم سوى النار مأوى ومرجعا، ولا من شفيع أو مغيث!!

ولعل مكمن السخرية وقوتها هنا نابع من أن الشاعر جعل **"النار"** دارا لكل خداع غاش، ثم أوغل في السخرية حين جعله خالدا فيها، وحين جعله يهيم ومرتع في أوديتها وكأنه حيوان يرعي، وهي سخرية عنيفة وقاسية تهدف إلى إصلاح الفساد الأخلاقي في المجتمع.

١- ديوان وطنيتي/١٣٣، "مجزوء الكامل"

٧. الوشاية:

الوشاية: هي النميمة والسعى بين الناس على جهة الإفساد، والوشاية: مأخوذة من الوشى في اللون، وهو خلط لون بلون، وكذلك يفعل الواشي في الكلام فيخلط الصدق بالكذب، ومعنى وشى الكذب: أي تأليفه، وتلوينه ، وتزيينه حتى يتقبله السامع.

والوشاية – من هذا المنطلق – تعد مرضا اجتماعيا خطيرا، وقد نهي الإسلام المسلمين عنها،حتى لا يتمزق حبل شملهم ، وحتى يبقي كيانهم قويا لا تزحزحه العواصف.

ولما كان للوشاية خطرها الجسيم في إفساد العلاقات بين أفراد المجتمع، وتركهم شيعا وأحزابا، لا يؤلفهم نظم، ولا يجمع بينهم عقد، فقد وقف شعراء مصر في القرن العشرين في وجهها، وكشفوا النقاب عن أصحابها، حتى يفتضح أمرهم ، ويعرف الناس خبرهم، فلعل ذلك يكون سببا في زجرهم، وإقلاعهم عما هم متورطون فيه من ضلال وفساد.

*ومن ذلك قول الشاعر **"عبد الرحمن شكري"** ساخرا من لجوء بعض أفراد المجتمع إلى الغيبة والنميمة[1]:

إذا ما بدا لي البيشر في وجه صاحبي ... أظل مروعا خوف عاقبة البشر

يحييك من ألحاظه بطلاقة ... ويأكل عرضا منك بالناب والظفر

وكل صديق إن رأى بك حسرة ... وكان بخير قال حظك في الصبر

يسخر الشاعر – هنا – سخرية تفيض بالحزن والألم من فساد سلوك بعض إخوانه فبعضهم يحييك ببشر وطلاقة، ثم هو يأكل من لحمك – في حال غيبتك– بنابه وظفره.

وتكمن السخرية هنا: في المفارقة العجيبة، والتناقض الغريب الحاصل بين بعض الإخوان، فالبشر الذي يبديه بعضهم لبعض،أصبح أمرا مقلقا، ينذر بأخذ الحيطة والحذر

١- ديوان شكرى/٢٣٦ "بحر الطويل"

والتحية والطلاقة عند اللقاء ما هي إلا نوع من التخدير الذي يعقبه أكل في العرض بالناب والظفر دون هواده.

*ومن ذلك أيضا قول الشاعر **"إبراهيم عبد القادر المازني"** ساخرا من تفشى روح الغيبة في المجتمع المصرى[1]:

وغـــر ماضـــغ بالغيـــب لحمـــى ... خـــلاه الـــذم إذ جـــدنا بحمـــد

صـــفوت لـــه علـــى العـــلات دهـــرا ... فرنـــق بالـــسفاهة مـــاء وردى

ظلمتـــك أن تخـــذتك لـــي وليـــا ... ولـــو أنـــصفت كـــان ســـواك قـــصدي

غـــرورا كـــان مـــا وعـــدت ظنـــوني ... وأشـــقي النـــاس مغـــرور بوعـــد[2]

يسخر **"المازني"** من بعض إخوانه الذين تفشى فيهم هذا المرض الخطير، فراح يغتابه، ويقطع من لحمه، دون مراعاة لحرمة، أو تأنيب من ضمير.

وتكمن السخرية هنا: في أن هذا الصديق قد جازى صاحبه على المعروف بالإساءة ولذا استحق هذه اللطمة المؤلمة من الشاعر حين قال "ظلمتك أن تخذتك لي وليا" فقد ظلمه الشاعر حين صافاه الود، واصطفاه لنفسه، وأحسن به الظن.

وهذه سخرية مؤلمة وموجعة، تدل على ضيق الشاعر بهذا اللون من النفاق الاجتماعي.

وأكثر ما تتجلى ملامح الوشاية في المجتمع: بين الموظفين والعاملين في أماكن أعمالهم، حيث تكون الوشاية هي وسيلة التسلية بالنسبة لهم، فينساقون وراء ندائها الخفي، متغافلين عما تحدثه من شرور وأضرار خطيرة في المجتمع.

*يقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من تفشى روح الوشاية بين العاملين في دار الكتب المصرية ، من قصيدته **"في دار الكتب"** [3]:

١- ديوان المازني/٣٣ جمع :محمود عماد، طبعة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ١٩٦١م.

٢- الأبيات من بحر الوافر التام.

٣- ديوان أحمد الزين /١٨ ، "حر السريع" .

والوشـــــايات بهـــــا دولـــــة	يزيـــد فيهـــا الـــشر مـــن جنـــده
الجـــــار فيهـــــا متـــــق جـــــار،	والأخ مطـــــوى علـــــى حقـــــده
والمـــــرء ذو الأخـــــلاق يحيـــــا بهـــــا	في مكفهـــــر الجـــــو مربـــــده

فالشاعر يسخر من تضخم ريح الوشاية في دار الكتب المصرية ، وتطاير شررها حتى شغلت كل العاملين بالدار، فأصبح الجار فيها متقيا جاره، والأخ مطويا لأخيه على الحقد والبغضاء، وأصبحت حياة الإنسان الفاضل فيها كأنها حياة في قلب الجحيم.

وتدل السخرية هنا: على خطورة هذه الآفة، وعلي شراسة ما تقوم به من إفساد وتمزيق للعلاقات بين أفراد المجتمع الواحد ، ولذا وجب محاربتها، والتصدى لها بكل الطرق التي تكفل للمجتمع الأمن والسلامة منها.

٨. الذوبان في تقليد الغرب دون وعى:

تبين لنا من الصفحات السابقة، أن المستعمرين قد سخروا جهدهم لإضعاف الشعور الديني عند المسلمين، فنشروا الفساد في الأرض ، وفتحوا على العالم الإسلامي – ولاسيما – مصر منابع الإثم والرذيلة، كما أنهم أكثروا من الهجمات والمؤمرات الشرسة التي أرادوا لها الرواج في ربوع الإسلام .

ومن الغريب..أنهم وجدوالهم من المصريين أعوانا، يتقبلون أفكارهم المسمومة ويستمرئونها، ويعملون على نشرها والدعاية لها، زعمين أن في طياتها عوامل التقدم والمدنية الحديثة.

"والمشكلة أن مثقفينا قد اعتقدوا بيقين أن الحضارة الغربية الحديثة تشكل المثل الإنساني الأعلى في الرقي والتقدم ! هذا مع عدم جهلهم مزلقها ومشكلاتها التي طالما ضج بالشكوى منها المفكرون الغربيون أنفسهم"[1] .

١- أدباؤنا وقضية التغريب، د. أحمد خليل/٢٤، المنار للطباعة – الإسكندرية ١٩٩٠م.

لذا وجب على كل مسلم عاقل أن يفكر قبل أن يقدم على تقليد حضارة شقي بها أهلها، ولا ينخدع بمظاهر السعادة الكاذبة التي يلوحون بها لكل ظامئ "فما سعادتهم إلا قشور تغلف وراءها البؤس، وتثمر اليأس ، وإذا كانوا يملكون مالا ويعيشون في ترف وثراء ، فإن خلف ذلك فقر روحي، يجعل الحياة بلا قيمة، ولا معنى، ولا هدف.. وما هم إلا معذبون بما يملكون من متاع يلعقون مرارته وقد فقدوا كل إحساس بالحياة الحقة زهورهم أشواك، وقصورهم من زجاج، والغنى جائع ومحروم من السعادة، فإن قرت الأجسام، واستراحت الأبدان، فإن القلوب ما زال نبضها يضج صارخا يطلب الحياة"[1] .

وعلى الرغم من ذلك، كان لهذه الهجمات والمؤامرات خطرها الهائل على المجتمع الإسلامي- ولاسيما في مصر- فقد جرت الويلات والكوارث على أبناء العالم الإسلامي حيث نعاين حقائقها المرة في هذه الأيام... فالأفكار أصبحت غربية، والعادات غربية بل إن الكل يقف مذهولا أمام سمومهم، مما أدى إلى تكاثر عدد أشقاء إبليس، وتعذرت إعادتهم إلى رشدهم، وإفهامهم تعاليم الدين الذي أصبح يمثل – في ظنهم – التخلف والهمجية ، وضياع الوقت.

وقد أوجد هذا الإلحاد طبقة **"من الشباب المصري المتميع المنكوب بلوثة الأرستقراطية[2]، فهو يتكلف حياته بأسرها، ويكاد يزكم الغرور أنفه، يرى في نفسه أكبر من أن يدين بدين، أو يتقيد بعقيدة، أو يخضع لشريعة ، فهو إله نفسه، يشرع لها بهواه ويصوغ لها السلوك الذي يرضاه"**[3] .

وإذا كان الإلحاد العقدى خطيرا بدرجة كبيرة على العقيدة الإسلامية، فإن هناك نوعا آخر من الإلحاد الذي هو أشد خطرا وضراوة . وهو إقصاء النظام الإسلامي الذي يجب

١- صوت الإسلام في الشعر العربي المعاصر في مصر، د. صفوت زيد/،١٢٥، ١٢٦ .
٢- الأرستقراطية: طبقة تمثل الأقلية الممتازة.
٣- القرآن والمتمردون ، محمد عبد الله السمان/١٩ بتصرف يسير.

أن يهيمن على حياة المسلمين، ونحن نعتقد أنه لا وجود له، فدساتير البلاد الإسلامية معظمها مستمد من الفكر الغربي، وكأن الإسلام قد عجز عن أن يهيئ لهذه البلاد دستورا قيما يضع لها أسس حياة طيبة.

وأمام هذه الموجات الإلحادية المتفشية وأمام ارتماء كثير من أبناء مصر في أحضان الثقافة والعادات والتقاليد الغربية الوافدة، كان لابد من وقفة لشعراء مصر في القرن العشرين، حيث وقفوا في وجه هذه التيارات الدخيلة على حياتنا، وقاوموها بنظمهم، وسخروا من كل سلوك أو تصرف شاذ مخالف للدين الإسلامي، أو منافيا للعادات والتقاليد التي تعارفنا عليها في بلادنا.

*ومن الشعراء المصريين الذي أبلوا في هذا المجال بلاءا حسنا، الشاعر **"محمود غنيم"** ، فها هو ذا يسخر من أبناء الوطن الذين يذهبون إلى بلاد أوربا، ثم يعودون متنكرين لأوطانهم، سالبين إياه الأفضال والحسنات[1]:

ما بال بحر الروم من يجتازه ... يوما تناسى سالف الأيام ؟

فإذا به خلق جديد ما مضى ... من عمره حلم من الأحلام

تتغير الدنيا عليه ، فكلها ... في عينه نقص بغير تمام

هل تغرق العادات من أربابها ... في ذلك البحر الخضم الطامي؟

ما اجتاز شرقي عجاجة موجه ... إلا وعاد مزودا "بمدام"

إن التكافؤ في الدماء فريضة ... ولو أنها لم تأت في الأحكام[2]

يسخر الشاعر – هنا – من افتتان بعض الشرقيين بكل ما هو غربي والأخذ منه دون تمييز بين جيد ورديء، ومن الذين يتعلمون في أوربا التنكر لأوطانهم بعد عودتهم إليها.

وتكمن سخرية الشاعر: في تساؤله سؤال سخرية وتهكم ، حين يقول:

١- الأعمال الكاملة ج٩٦/١ .

٢- الأبيات من بحر الكامل التام.

هــل تغــرق العــادات مــن أربابهــا في ذلــك البحــر الخــضم الطــامى؟

والسخرية هنا ناشئة من الصورة التي رسمها الشاعر، وهي صورة إنسان شرقي يجتاز هذا البحر، بينما عاداته وتقاليده تتساقط منه في اليم واحدة تلو الأخرى.

وفي ذلك إشارة إلى ما يحدث للشرقيين هناك من غسيل للأفكار، وإعادة لبناء الهيكل العام من جديد.

*ويقول – أيضا – ساخرا من هوس الإقبال على العادات والتقاليد الغربية، مما كان سببا لجلب كثير من المفاسد إلى مجتمعنا، وذلك من قصيدة : **"قومى بين الشرق والغرب"** [1]:

أبنــاء عمــى مــن نــزُرويعــرب ليــسوا بــأعراب ولا أعجــام
يترسمــون الغــرب حتــى يوشــكوا أن يعبــدوه عبــادة الأصــنام[2]
مــا قلــدوهم مبــصرين، وإنمــا تبعــوا نظــامهمو بغــير نظــام
للغــرب عــادات مــسممة ســرت في الــشر مــسرى الــداء فى الأجسام
إني رأيت جيوشه لم تغزنــا في الحرب بــل فــى مــشرب وطعــام
لا تــأمنوا المــستعمرين فكــم لهــم حــرب تقنــع وجههــا بــسلام
حــرب علــى لغــة الــبلاد وعادهــا ليــست تــشن بمــدفع وحــسام[3]
والــشعب إن ســلمت لــه أخلاقــه ولــسانه لم يخــش قطــع الهــام

في هذا النص يسخر الشاعر من أبناء الشرق الذين اقتفوا أثر الغرب في كل صغير وكبير من عاداته وتقاليده، دون تمييز بين غث وسمين، حتى كادوا أن يعبدوه عبادة الأصنام. وقد أدى ذلك إلى سريان سموم الغرب وأدوائه العضال بسرعة عجيبة في كيان

١- الأعمال الكاملة ج١/٩٥ . "بحر الكامل التام".
٢- ترسمه: اقتفى أثره.
٣- العاد: جمع عادة.

المجتمع الإسلامي، وهذا لون من الحرب والغزو الذي لا يحمل سلاحا ولا مدفعا، ولكن يحمل العادات والتقاليد المسممة ، ويبذرها في ديارنا ، فتنبت المر والعلقم!

ولعل مكمن قوة السخرية – هنا – يظهر في انتزاع لفظ العبادة من مقامه واستعماله في مقام آخر أبعد ما يكون منه مناسبة وهو تقليد الغرب في كل شئ، بصورة قد تصل إلى حد العبادة.

وتحديد العبادة بأنها للأصنام يعطي مزيدا من السخرية، لأن ذلك يشير إلى خطأ المذهب، وضلال المسعى.

* وقد امتدت مظاهر الفساد إلى النساء المصريات أيضا في أيام الاحتلال فرأينهن يجرين وينسقن وراء الموضة والتقليد الأعمى للنساء الغربيات، دون وعى بما هو مناسب لهن، وما هو غير مناسب لطبيعتهن، ولظروف الحياة في مجتمعهن الذي يعيشن فيه.

*يقول الشاعر "**على الجندي** "ساخرا من موضة تقصير الثياب، وكشف السيقان عند النساء، وذلك من قصيدته: "**فتنة السيقان**"[1] :

قل لحسناء زهاها الـ ... حسن أن تلزم خدرا

تتثنى من دلال ... بانه تحمل بدرا

أينما سارت وعطرا

لا تبالي الحر إن كا ... ن ولا تحفل قرا[2]

جسمها أمسى نهابا ... لعيون الناس طرا[3]

شف عنه ما عليه ... فبدا بطنا وظهرا

١- ديوان ألحان الأصيل/٣١١ . "الرمل المجزوء".

٢- القر:البرد.

٣- النهاب؟: الغنيمة ، جمع نهب.

حجـــــبي الحـــــسن وصـــــونيه ... يـــــزده الـــــصون قـــــدرا
فـــــإذا رابـــــك قولـــــي ... وحـــــسبت الخـــــير شـــــرا[1]
فاســـــترى ســـــاقك عنـــــا ... حـــــسبنا الـــــصدر المعـــــرى

يسخر الشاعر **"على الجندى"** من كثير من نساء المجتمع المصري اللائي أرهقن أنفسهن في اتباع الموضة الوافدة من بلاد أوربا، بما فيها من تشجيع الميوعة، وانحطاط الأخلاق ، والتعرى والسفور واختلاط الجنسين.

وقد أدى هذا الاتباع إلى أن أصبحت أجسام النساء في مصر كلأ مباحا ، وغنيمة باردة لكل رائح وغاد، فقد انحسرت الثياب عما تحتها من فتن المرأة التي تذهب بلب الحكيم ، كما انحسرت الملابس عن السيقان، وألقيت من فوق الصدور، يتخلل ذلك كله ويتعانق معه كثير من الدلال والتثني، الذي يستفز المشاعر، ويوقظ الغرائز النائمة في نفوس أصحابها.

ولعل السخرية في البيت الخامس أكثر وقعا على النفس، وأقوى أثرا في رفض هذا التقليد.

*ويقول الشاعر **"هاشم الرفاعي"** ساخرا من السلوكيات الاجتماعية الفاسدة والأخلاقيات المنحطة التي تفشت في الحياة المصرية بصورة غير مسبوقة، حتى إنها وصلت إلى الطالبات في الجامعة فأفسدت فطرتهن.

يقول من قصيدته **"رماد الفضيلة"**[2] :

لا تمـــــدى لـــــصيده أحبولـــــة ... مـــــن تـــــثن ومقلـــــة مكحـــــولة[3]
إنـــــه هاهنـــــا أخ وزميـــــل ... أنـــــت أخـــــت لـــــه وأنـــــت زميلـــــه
نحـــــن في منهـــــل العلـــــوم ولـــــسنا ... في مبـــــاراة فتـــــنة مـــــصقولة

١- رابك: شككت فيه
٢- ديوان هاشم الرفاعي/٢٨٨ ، "الخفيف التام".
٣- الأحبولة: المصيدة. والتثنى : التمايل في المشى ، "الخفيف التام".

فعـــلام الـــشفاة ترمـــي بنـــار خلفـــت تحتهـــا رمـــاد الفـــضيلة
إن هـــذا الـــذي نـــرى رقـــصات فـــوق قـــبر الكرامـــة المقتولـــة
فـــإذا شـــئت أن ترينـــا جمـــالا حـسبك الـنفس حـين تبـدو جميلـة

يسخر الشاعر – هنا – من مبالغة بعض الفتيات المصريات -وهن في مجال الدراسة- في التزين، وفي وضع الأصباغ على الشفاة والوجوه، وكأنهن في مباراة لعرض وسائل الفتنة وملامح الجمال، وهذا يتنافي مع مقام العلم، كما أنه يتنافى مع مبادئ الإسلام التي أحاطت المرأة بسور يرعي حرمتها، ويحفظ عليها كرامتها، ويمنع عنها الأذى ويصونها من ذئاب الجنس وعباد الهوى.

والجمال الحقيقي هو جمال النفس، حين تبدو ملتزمة بمحامد الأخلاق، وكريم الصفات وتكمن السخرية – هنا – في تصوير زينة المرأة بأنها مصيدة للرجال، وتصوير التمايل والتثني في المشى بأنه رقص.

ويصل الأمر عند المرأة إلى أكثر من استعمال وسائل الزينة بطريقة مبالغ فيها حين تقدم بعض النساء على عادة "التدخين"، تقليدا لنساء الغرب، فيفقدن بذلك قدرا من أنوثتهن.

يقول الشاعر **"على الجندى"** ساخرا من بعض المدخنات، من قصيدته **"المدخنات الحسان"** [1]:

مـــــا للحـــــسان يـــــردن أن يفلـــتن مـــن ســـحر الحـــسان
طمـــس الـــدخان بهـــا الفتـــو (م) را وكـــــان قيـــــدا للعيـــــان[2]
إن صـــــح ذاك فمـــــا الـــــذي يبقـــي لهـــن مـــن المعانـــي
أزيـــــن فـــــي أفعالهـــــن بكـــــل محـــــصنة رزن[3]

١- ديوان ألحان الأصيل/٣١٩ . "مجزوء الكامل".
٢- الفتور: انكسار الجفن طبيعة. وقيد العيان: يحبس النظر عليه.
٣- المحصنة: التي حصنها الزواج.

قلـــدن حتـــى قـــد صـــلين (م) بجمـــرة الحـــرب العـــوان
أيـــرمن أن يـــصبحن أشـــواكا (م) وهـــن غـــصون بـــان؟!

الشاعر- في النص السابق- يسخر ويتهكم ببعض النساء المصريات المدخنات؛ لأن عادة التدخين تفقد الأنثى قدرا كبيرا من أنوثتها، وإذا فقدت المرأة أنوثتها – وهي أهم صفة فيها- فإنه لا يبقي لها من صفات المرأة شئ يذكر، وبذلك تتحول المرأة إلى غصن من الشوك المؤذي ، بعد أن كانت غصنا من البان الذي يبهج أعين الناظرين.

وما حدث للمرأة المصرية هذا التحول، وهذا التردى، إلا بعد أن تعلقت بأحبال الموضة والتقليد للنساء الأوروبيات في كل شئ، فعاد ذلك عليهن وعلى مجتمعهن الذي يعشن فيه بالبلاء والدمار!!

*ويقول الشاعر **"مصطفى صادق الرافعي"** ساخرا ومتهكما بالنساء المولعات بالألوان والأصباغ؛ ليموهن على الآخرين، ويسترن بها أعمارهن[1]:

ألا إنمـــا أم الحماقـــة مـــن غـــدت بمـا ادهنـت تلقـي علـى عمرهـا سترَ
فيحـــسبها مـــن رآهـــا طفلـــة الـــصبا ويـــا ربمـــا كانـــت كجدتـــه عمـــرا

فالشاعر – هنا – يسخر من ظاهرة الخداع والتمويه التي جرتها عادة الجرى وراء الموضة، فالمرأة تحاول أن تموه على الرجال، وأن تخدعهم، فتلقي – من خلال الأصباغ والألوان – على عمرها سترًا، فلا يتحقق الناظر إليها من كونها كبيرة، فيظنها طفلة، وهي – في حقيقة الأمر – كجدته سنا.

وهذه سخرية موجعة من كل امرأة تحاول أن تستر عمرها وراء الأصباغ والألوان.

*ويقول الشاعر **"محمد الأسمر"** ضاربا على نفس هذا الوتر[2]:

قـــل للـــتي تجعـــل الأصـــباغ غايتهـــا في وجههـــا خـــبر عـــن كـــل مـــسحوق

١- ديوان الرافعي، ج٣/٥٢ . "البحر الطويل"
٢- ديوان الأسمر /٤٧٨ . "بحر البسيط التام".

لصبغة الله خير، وهي باقية على الزمان ويفني كل تزويق

أخت المساحيق إن الحسن موهبة لا يشترى الحسن يوما ما من السوق!!

يسخر الشاعر – هنا – من مبالغة بعض النساء المصريات في القرن العشرين في وضع المساحيق على وجوههن ، حتى لا يكاد الناظر يرى تلك الوجوه من كثرة ما ألقي عليها من طلاء وزينة.

وتكمن السخرية في البيت الثالث، حين يضيف الشاعر لفظ (أخت) إلى (المساحيق)، وحين ينفي أن يكون الحسن شيئا تافها تستجلب مظاهره ودلائله،فالحسن موهبة لا يشترى.

*ويسخر الشاعر(الأسمر)أيضا من موضة قص الشعر عند بعض النساء فيقول[1]:

عجبا للحسان يسرقن منا كل شئ ولم يبق إلا الأسامى!!

سائلوا الغيد هل رأيتن بدرا راع يوما إلا بجنح ظلام

إنما الشعر حلية الله للأنثى(م) وإكليلها البديع النظام

حال حسن الوجوه بعدك يا شعر(م) وحالت محاسن الأيام

فالشاعر (الأسمر) يسخر هنا من بعض البدع والمبتكرات التي تلجأ إليها بعض النساء المصريات؛ جريا وراء الموضة والتقليد، فقد شاعت بينهن موضة قص الشعر، حتى إنهن أشبهن الرجال في الشكل والهيئة، ولم يبق إلا أن يتسمين بأسماء الرجال.

وهذا مما عمت به البلوى في المجتمع المصري حتى يومنا هذا .

ولعل مكمن قوة السخرية هنا يظهر من خلال وصف موضة قص الشعر عند النساء بأنها سرقة، ولفظ السرقة يوحي بمعان مستقبحة مما يستدعى الابتعاد عنها.

١- ديوان الأسمر/، ٣٣٨ "الخفيف التام".

*وللعقاد في هذا الشأن نداءات وتنبيهات كثيرة للمرأة المصرية، التي جرفها تيار الموضة الحديثة، وما زال يهدم في كيانها حتى جعلها جسدا عاريا ملقي على قارعة الطريق، تصل إليه أيدي العابثين بيسر وسهولة.

يقول **"العقاد"** ساخرا من الميوعة والعهر والتخنث الذي اتصف به كثير من نساء المجتمع المصرى وذلك من قصيدته **"الجنس"** [1]:

أيمـــــا لفظـــــة جـــــرت ... مـــن فـــم المـــرأة امـــرأة

تـــشتهي الـــزوج مـــن فئـــة ... والأخـــلاء مـــن فئـــة

لـــيس بالجـــسم وحـــده ... يعـــرف الجـــنس منـــشأة

يسخر العقاد – هنا – من إصابة كثير من النساء في المجتمع المصري بآفة الميوعة والليونة في الكلام، مما يظهر المرأة بصورة العاهرة التي جف ماء الحياء من وجهها، فكل لفظة تخرج من فم المرأة، وقد أرهقها التثني ، وهدهدها العهر، تعد عورة، والعورة واجبة الحفظ والستر.

كما يسخر الشاعر – هنا – من موضة اتخاذ المرأة للأخلاء،وهم الرجال الذين تربطهم بها صداقة أو استظراف أو استحسان، وقد قال الله – تعالى- في حق النساء المؤمنات: "...وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ..."[2] .

*وإن الناظر ليحزن أشد الحزن، حين يرى آثار انفتاحنا على الغرب – دون وعى أو إدراك – خاصة حين يجنى العالم الإسلامي حصاد هذه الأساليب المذمومة التي اتخذها الغرب وسيلة لنشر ظلامه في الشرق ، ولاسيما في مصر.

وإن من أشأم ما اتخذه الغرب من وسائل الإفساد في العالم الإسلامي: هو التغرير بالفتيات، والإيقاع بهن في مهاوى التحلل والعصيان والرذيلة، فقد دعوا إلى الاختلاط بين

١- ديوان العقاد /١٠٨"مجزوء الخفيف ".

٢-سورة النساء، من الآية:٢٥ والأخدان، مفردها: خدن : وهو الصديق.

الجنسين في نظام التعليم، واعتبروا ما دون ذلك رجعية لا تتفق مع الرقي الحضاري كما نشروا القصص ، والروايات، والصور التي تثير الغرائز الجنسية لدى الشباب تحت شعار "الثقافة الجنسية"٠

وكان هدفهم من وراء ذلك: هو العمل على تدمير قطاع الشباب في مجتمعنا العربي، ولاسيما في مصر٠

*يقول **"العقاد"** ساخرا من طغيان موجة المجون والخلاعة والتعرى في عالم المرأة في مجتمعنا المصري[١]:

صحـــــــائف أم بيـــــــوت ... فيهـــــا تـــــزف الـــــصبايا

مـــــــسترخيات الهـــــــوادي ... معرضـــــــات الخفايـــــــا[٢]

مـــــن كـــــان يفعـــــل هـــــذا ... جهـــــرا أمـــــام البرايـــــا

فكيـــــف تلقـــــاه ســـــرا ... إذا كـــــشفت الخبايـــــا

يسخر **"العقاد"** – في هذا النص – من سعار المجون والتعرى والسفور الذي احتل صفحات الجرائد والمجلات، فكلها غاصة بالصور والمناظر المخلة، والتي تظهر فيها المرأة مكشوفة الشعر، عارية الجسد، ظاهرة الخفايا أمام كل العيون٠

ولعل قوة السخرية هنا تكمن في استعمال الشاعر للفعل (تزف)الذي يصور مبالغة المرأة المصرية في الزينة والتعرى، ثم عرض صورها بهذه الهيئة في الصحف والمجلات فتبدو وكأنها في ليلة زفاف٠

*ويسخر **"العقاد"** أيضا من الانفلات الأخلاقي والسلوكي الذي ترتب عليه كثير من المفاسد،وذلك حين يتكلم عن الفن والفنانات من قصيدته**"بنت الفن "**فيقول[٣]:

١- راجع:ظلام من الغرب، الشيخ محمد الغزالي/١٥٢ طبعة دار الكتاب العربي بمصر٠

٢- الهوادى : جمع هادية ، وهى مقدم شعر الرأس.

٣- ديوان العقاد /٨٨٨" المتقارب التام".

أفي حجـــرة النـــوم أم قاعـــة الـــ (م) ـــعـــرض جمهـــور فنـــك مستحـــضر
ومـــن تعـــرفين أمـــام الـــستا(م) ر ـــأم خلفـــــه دائمـــــا أكـــــثر
وهـــل أنـــت نجـــم لأن النجـــو(م) م ـــفي ليلـــــها أبـــــدا تـــــسهـرا!
أمـــور إذا مـــا احتواهـــا الـــسؤ (م) ل ـــفالـــــسائلون بهـــــا أخـــــبر
فمـــــا تـــــبرزين ومـــــا تـــــسترين ـــبغـــير شـــعاع لهـــم يظهـــر

يسخر الشاعر- هنا – من الاختلاط والسفور والسهر الليلي الذي هو عادة بنات الفن "**الممثلات**" ، وما يحدث في هذا الجو من العبث والفساد، واختراق حجاب الفضيلة فعلى أرض حجرات ربات الفن تغتال الحرمات، وتقبر الفضائل، وكل ذلك تحت مسمى الفن ، والمدنية الحديثة.

وتدل السخرية هنا على شراسة الفساد الذي أصاب المجتمع المصري ، حين شقت المرأة عصا الحياء، فمشت متبخترة ، متكسرة، متغنجة، مبدية محاسنها التي أثارت كوامن الشهوات الجنسية لدى الرجال، وحركت نيران المحبة المحرمة في القلوب.. فكان ما كان !!

ولعل هذا التحلل الماجن هو ما كانت تهدف إليه ثقافة الغرب، حين رمت بأوزارها وجراثيمها في الشرق الإسلامي، فـ"المادية الغربية تقدر كل شئ بحسب ما يجلبه من لذة وسعادة وقتية، معتبرة الحياة والتنعم بها أول وآخر شئ للوجود البشري"[1] .

*ومن مظاهر تقليد المجتمعات الأوربية: الاختلاط بين الجنسين، وعقد الصداقات، والعلاقات غير المشروعة، مما يترتب عليه كثير من العواقب الوخيمة ذات الآثار السلبية على المجتمع .

١- ما هو الإسلام ؟ محمد مظهر الدين صديقي/٤٤ بتصرف يسير .

وقد أشار الدكتور **"العزب"** إلى بعض من آثار الدعوة إلى الاختلاط بين الجنسين باعتبارها مظهرا من مظاهر الانحراف الخلقي المتفشية في المجتمع المصري المعاصر،وذلك من قصيدته"مذكرات نشال سرق شاعرا ١٩٦١"[١] :

- أنا خلف الجدار ولدت خلف مسائه الشاتي
- لقيط أجرح الآفاق من همس انتحاباتي
- ثم يقول بعد ذلك:
- وحين تفتحت عيناى، حين تكاملت ذاتي
- وعيت حقيقتي ، فدفنت في دمي اكتئاباتي
- وعشت كما أراد الليل منزوف الجراحات
- وكنت إذا أضاء الصبح وافترت حواشيه
- أحدق في الزحام عساى أبصر والدي فيه
- وكنت أراه طيفا في براءة من ألاقيه
- وأمى كنت أبصرها هناك على مدى التيه
- تسير على الطريق سدى، وتخبط في دياجيه
- وأدنو منهما فأرى ضبابا كنت أبنيه
- وأعرف أنها أشباح حلم، عشت أحكيه
- فأصرخ : لا، أنا أصداء صوت مات حاديه.

يسخر الشاعر **"العزب"** في هذه القصيدة من ظاهرة غير صحية انتشرت في المجتمع المصري، وهي ظاهرة **"السرتة أو النشل"**، وقد جرفت هذه الظاهرة في تيارها بعضا من أبناء مجتمعنا، كبارا وصغارا، رجالا ونساء، وهؤلاء يكونون مجموعات تتوزع على مستوى القرى والمدن الكبرى.

١- الأعمال الشعرية الكاملة/٦٤٠، ٦٤١ "الوافر".

والشاعر **"العزب"** في هذه القصيدة لا ينظر إلى هذه الظاهرة في شكلها الخارجي بل يبحر إلى أبعادها وأسبابها، ويغوص وراء نوازعها الكامنة في النفس الإنسانية، فيرى النشال إفرازاً اجتماعيا مرا لحياة الضياع والسأم والفوضى التي سيطرت على أبناء الشعب في فترة الستينات والسبعينات والشاعر – في قصيدته – يستوقفنا عند حالة الضياع التي يشعر بها المرء حين يفقد انتماءه إلى أسرة يلتمس في أحضانها الدافئة معاني الحب والخير، فإذا اغتاله زحام الحياة فلم يجد عند الناس برا ولا رحمة فقد انتماءه إلى المجتمع وإيمانه بالقيم، فهو في مجتمعه لقيط مقطع الأواصر والجذور، يضرب في شعاب الحياة بغير هاد يهديه، أو حاد يقود مسيرته، فهو إذن صحية انحراف اجتماعي آخر، وحصاد خطيئة جرت إلى ميدانها بعضا من نساء المجتمع"[1] .

وتدل السخرية هنا: على أن الانحراف الخلقي والسلوكي في المجتمع يبيض ويفرخ، ثم لا يثمر في نهاية المطاف إلا جيلا مصابا بالعدوى والعطب، به يتلوث وجه المجتمع ، ويفقد جماله وروعته.

● المبحث الثالث:

السخرية من انقلاب المقاييس وارتكاس القيم:

القيم الإنسانية النبيلة، هي أفضل ما يعتز به الإنسان في حياته ، فبهذه القيم الفاضلة يعيش الإنسان حياته سعيدا يحرز تقدما في كل يوم، وتفاؤلا في كل لحظة.

والقيم في كل مجتمع هي معايير وموازين السلوك الإنساني، والمجتمع المتوازن هو ذلك المجتمع الذي ينتشر فيه الوعي بالقيم، ومن ثم الالتزام بها.

وشئ طبيعي أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في مجتمع ، لا تتحكم في حركته منظومة من القيم والسلوكيات الموجهة إلى الخير والفضيلة.

١- انظر : منطلقات التجديد وآفاقه في إبداعات الدكتور العزب، د. محمود عباس/١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، مطبعة الإخوة الأشقاء – القاهرة ٢٠٠١م.

وما ذلك إلا لأن **"الإنسان يعد كائنا أخلاقيا لديه بالفطرة ضمير يلزمه بالسلوك الأخلاقي ، باستثناء من فسدت فطرتهم ، وصموا آذانهم وعقولهم عن صوت الضمير، فهؤلاء من الشواذ الذين لا يمثلون النوع الإنساني ، ولا يؤثر وجودهم في جعلنا نفقد ثقتنا في الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم من الناحيتين المادية والمعنوية"** (١).

ولكننا نلحظ أنه مع مرور الأيام، وتعاقب الأجيال، قد طرأت على المجتمعات الحديثة، - ولاسيما المجتمع المصري- متغيرات ومستجدات عديدة في كل مجالات الحياة وكان لهذه المتغيرات تأثير مباشر وغير مباشر على سلوك الأفراد والجماعات التي تعيش في المجتمع، مما ترتب عليه اهتزاز القيم، ومن ثم "فقد تغيرت النظرة إلى القيم، وبخاصة من جانب الأجيال الجديدة التي تبدى تمردا على الكثير من عادات المجتمع وتقاليده وقيمه"(٢).

والواجب علينا ألا نتبرم بخروج بعض الأشخاص أو تمرده على قيم المجتمع وسلوكياته، فهذا البعض – من أبناء الأجيال الجديدة – معذور؛ لأنه يرى القيم تروح وتجئ في إطار كلامي فقط، ولم تتحول بعد إلى حيز الفعل، أو إلى عالم الواقع، وهذا ما يحدث الفجوة والانفصام بين القول والعمل.

كما أن افتقاد الأجيال الجديدة للقدوة في هذا الشأن؛ أمر خطير، وله أضراره التي تعود سلبيا على المجتمع.

ويذكر **"العقاد"** أن جميع العصور لا تخلو من مظاهر الضعف ، ولا تخلو من انقلاب في المقاييس، وارتكاس في القيم والموازين.

يقول: "ولا نحسب عصرا واحدا خلا من أمثلة كثيرة على اختلال الموازين الإنسانية، في تقدير أعمال الخير، وتقدير أصحابه وطلابه ومريديه، ففي كل عصر ينال الهوان قوم هم أحق الناس بالكرامة، وينال الكرامة قوم هم أحق الناس بالهوان ، وقد يقع

١- قيم منسية، أ.د/محمود حمدى زقزوق/٥ (سلسلة قضايا إسلامية ، العدد ٨٠). مطابع الأهرام التجارية – قليوب – مصر/٢٠٠١م.

٢- المصدر السابق نفسه /٦ .

هذا الحيف عن قصد ولجاجة وعناد، وقد يقع عن جهل وغباء وقلة اكترَث، ولكنه يقع على كل حال، ويتكرر على نتيجة واحدة في جميع الأحوال" [1].

وقد وجدنا شعراء مصر في القرن العشرين يقفون موقفا مناهضا لهذا الاتجاه المدمر، الذي ينذر بالخطر، ويهدد بالاندحار فقد أخذوا يعبرون بنظمهم عن أسباب انتكاس قيم الخير في حياة الناس، وانحيازهم إلى كل ما هو دنئ من الأفعال والأقوال.

هذا، وقد بدت ملامح هذا الانقلاب في عدة اتجاهات، منها: تقديم المفضول على الفاضل، والجفاء بعد الوفاء، والزواج غير المتكافئ، وانحطاط الهمم، وتقديم مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ومقابلة المعروف بالإساءة.

وسوف نتناول – الآن – هذه النقاط بشيء من التفصيل:

١. تقديم المفضول على الفاضل:

الأصل في الأمور أن يقدم ذو الكفاءة على غيره؛ ضمانا لإقامة العدل، وسلامة العمل، فإذا حدث العكس وتقدم المفضول على الفاضل، كان ذلك لونا من ألوان الضعف الذي يعترى المجتمع، فيفقده توازنه وجماله وروعته.

وتقديم المفضول على الفاضل تبدو ملامحه فيما يلي:

قد يبدو ذلك في "**تقديم الوضيع على الرفيع**" في شئون الحياة المختلفة، وهذا نوع من النشاذ الاجتماعي.

*يقول الشاعر "**محمود أبو الوفا**" ساخرا من هذه الظاهرة[2]:

ما احتيالي في بيئة لم يصدر ... من ذويها إلا سليط اللسان

أغفلوا الفضل في الموازين حتى ... ليس فيها للفضل من ميزان

١- بين الكتب والناس/٣٧٢ ، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.

٢- محمود أبو الوفا – دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه/١١٠ "الخفيف التام".

فالشاعر يسخر – هنا – من إغفال المجتمع المصري لقيمة الأشخاص الفضلاء فأهل الفضل ليس لهم في رحابه مكان أما أهل البذاءة والسفاهة، فهم يتصدرون كل المواقع، ويتربعون فوق كل ربوة!

والسخرية – هنا – تدل على عدم الرضا عن هذه الأوضاع الاجتماعية الفاسدة والمقاييس المقلوبة في المجتمع المصري.

*ويقول الشاعر **"صالح الشرنوبي"** ساخرا- أيضا – من ظاهرة تقديم الوضيع على الرفيع[1]:

رأيت حظوظ الناس شتى: فجاهل أمير ... وأهل العلم في كفه أسرى
ونابغة فذ.. يعيش مشردا ... يكابد من أيامه الذل والفقرا
فإن مات هب النائمون.. فأمطروا ... ثراه الجديب القفر مدمعهم ثرا
وراحوا يحيون الرميم بذكره ... وهيهات أن تجدى على الميت لذكرى
لقد كان يرجو الموت.. لا مؤمنا به ... فظنوه يرجو المستحيل أو الكفرا
فأيهما أختار لو كنت مثله ؟ ... لعلي بحظ الفدم في سعده أحرى[2]

يسخر **"الشرنوبي"** من انقلاب المقاييس وارتكاس القيم في المجتمع المصري فجاهل .. أمير بيده الأمور، وعالم .. أسير قلت حظوظه في الحياة! ونابغة.. يعيش حياته مشردا ، يلاقي فيها الذل والهوان.

وتتجسد السخرية في هذا النص من خلال هذا التناقض الغريب الذي يبرزه الشاعر، حين يصبح الجاهل أميرا وسيدا، والنابغة فقيرا مشردا، وأيضا من خلال هذا التناقض الذي يبدو في إهمال النوابغ في حياتهم، ثم التلهف عليهم، وزيارة قبورهم بعد الموت، وهو تناقض يستدعي مزيدا من السخرية والتهكم.

١- ديوان صالح الشرنوبي/٤٠٩ . "البحر الطويل"
٢- الفدم: هو الثقيل الفهم الغبي.

*كما تبدو ظاهرة تقديم المفضول على الفاضل في المجتمع، حين يقدم المتملق على غيره، والتملق خلق ذميم، لأنه يحط من قدر المتصف به، ويذرى بشخصيته، ويهوى به إلى درك أسفل.

يقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من انقلاب المقاييس وارتكاس القيم في المجتمع المصرى، حين يقدم المتملق الجاهل على الفاضل العالم[1]:

لا تقـــل أفنيـــت عمـــرى دائبـــا ... وبـــذلت الجهـــد جهـــد المرهـــق
لـــيس للـــدائب حـــظ بينهـــم لا ... ولا الجهـــد ســـبيل المرتقـــي
تـــزن العمـــر وعمـــرا مثلـــه ... لحظـــة تبـــذلها في الملـــق
فاســـتبقها فرصـــة إن ســـنحت ... إنمـــا الفرصـــة للمـــستبق

وتكمن السخرية – هنا – في البيت الثاني ، حين ينفي الشاعر أن يكون حظ الدائب المجتهد أفضل من غيره، وحين ينفي أن يكون "الجهد" هو الطريق إلى الرقي وإحراز المجد في مجتمعنا !

وهذا منطق غريب ! وهو يثير تساؤلا مؤداه: فما سبيل الارتقاء إذن؟! وهنا يأتي البيت الثالث ليجيب عن هذا التساؤل: وهو أن السبيل إلى الارتقاء في المجتمع المصري له باب واحد معروف، وهو التملق إلى الرؤساء والمسئولين، وبذل ماء الوجه رخيصا تحت نعالهم!!

والسخرية – هنا – تدل على ما يعانيه أفراد المجتمع المصري من قلق نفسي، حين أصبحت الموازين في أيد غير عادلة، والأمور تجرى في غير طريقها المشروع!

*ويقول الشاعر **"عبد الرحمن شكرى"** ساخرا وضاربا على نفس هذا الوتر[2]:

كـم عظـيم قـضي ولم يبلـغ النجـ (م) ح ... وغـــــر أصـــــابه بريـــــاء

١- ديوان أحمد الزين/١٢ "الرمل التام".
٢- ديوان شكرى/١١١ "الخفيف التام"

كـــم جليـــل مـــرجم بـــسبـاب وضـــئيل مـــزين بالثنـــاء

يسخر الشاعر من ظاهرة وصل الأغرار والسفلة ، وتمكينهم من المناصب المهمة في الدولة على حين يحرم العظماء والشرفاء من كل ذلك.

وما بلغ السفلة والأنذال هذا المبلغ إلا عن طريق التملق والرياء، وغير ذلك من الطرق الملتوية التي تأبي نفس الكريم أن تخوض فيها.

والسخرية توحي بالتناقض المخيف الذي يموج به المجتمع المصري، وتنزلق إليه الأقدام في كل لحظة؛ جريا وراء الأغراض والمنافع.

*ويقول الشاعر "**محمد الماحي**" ساخرا من تقديم الجهلاء على العلماء في مجتمع انقلبت فيه المعايير[1]:

منـى الـنفس أن تلقـي المنـون ولا تـرى زمانـا سمـت أوغـاده وأسـافله

فـذو الجهـل موفـور الكرامـة غانـم وذو الفضل فيه خامد الذكر خاملـه

يسخر "**الماحي**" من سوء الأوضاع في مجتمعه، فقد انقلبت فيه المعايير، وتبدلت الموازين ، حتى أصبح الجاهل موفور الكرامة، مهاب الجناب، يتمرغ في الترف والنعيم كيفما شاء، بينما أهل الفضل والمعرفة تراهم وقد خمد ذكرهم ، وانكمشت ملامح النعيم في حياتهم.

وقد أدى هذا الفساد الطامي إلى شعور أهل الفضل بالإحباط واليأس ، حتى إنهم ليتمنون الموت، ويفضلونه على الحياة في ظل مجتمع متفسخ القيم والمبادئ.

*ويقول "**محمود حسن إسماعيل**" ساخرا من ظاهرة تقدير المجتمع للمتملقين والمداهنين، وإهماله لأصحاب القيم والمبادئ[2]:

يـا أمـة يـسقي المداهـن بينهـا شـهد المنـى، والحـر كـأس زعـاف

١- ديوان الماحي،/١٩٦ . "الطويل".

٢- الأعمال الكاملة/٣٧٣ . "الكامل التام".

ويعـــيش أحـــرار العقـــول بظلـــها ... غربـــاء مـــن عنـــت الزمـــان الجـــافي!
أفمـــن يظـــل علـــى المـــبادئ ثابتـــا ... قذفتـــه في البـــؤس شـــر قـــذاف
ودفنـــت في وضـــر الجحـــون ضـــياءه ... الثـــرى للجـــوهر الـــشفاف!
مـــاذا عليـــك إذا ســـقيت غراســـه حيـــا ... وتـــد أولاك عـــذب قطـــاف؟
كرمتـــه بعـــد الممـــات ومـــن ســـوى ... كفيـــك زف المـــوت أي زفـــاف!

يسخر الشاعر-هنا- من انتكاس القيم في المجتمع المصري في القرن العشرين، فقد تشوهت فيه المبادئ الفاضلة، حتى أصبح المداهن المتملق حرا كريما، يسقي شهد الأمانيبينما الأحرار والفضلاء يعيشون في أوطانهم عيشة الغرباء، فهم يشكون من الهم ويتجرعون كأس الموت في كل لحظة ولحة، فاندفن - بذلك - ضياء عقولهم في جحور مظلمة، تقتل الحلم، وتقتلع جذور الأمل النابض في القلوب التي أرهقها ليل الفساد والظلم الاجتماعي.

ومن الغريب حقا في حياة المجتمع المصري: أنه لا يكرم الفضلاء والنابغين في العلم إلا بعد رحيلهم عن الحياة، وفي ذلك ما فيه من الضرر والغبن!! ومجتمع بهذه الصورة المتعثرة، لا تتعجب إذا ضاعت فيه العبقريات، وانطفأ نورها، واعتلى صرح الوجاهة فيه كل متملق محتال!

ومن المحاولات الناجحة التي كشفت عن هذا الاختلال القيمى في مجتمعنا المصري في النصف الثاني من القرن العشرين: قول الشاعر "عبد المنعم عواد" ساخرا من انقلاب المقاييس وارتكاس القيم في المجتمع ، وآية ذلك: تقديم المتملق الجاهل على الفاضل العالم.

يقول من قصيدته : **"متون وهوامش"**[1] :

١- الأعمال الكاملة، ج٢/١٢٠ "الرجز".

- هذا زمن لا يبلغ فيه الغاية..
- إلا من يعرف كيف تنال الغاية!!
- ليس بقدر الجهد..
- ولكن بوسائل أيسر.
- لا يحذقها غير العارف بأول اللعبة..
- فتعلم لغة العصر..
- تحقق سائر ما تبغيه
- والفطن الحاذق..
- من يبلغ غايته قبل أخيه!!

يسخر الشاعر- في هذه القصيدة – من اختلال الموازين والمعايير التي يدرك بها العلا والمجد في المجتمع المصري، فليس بالجهد المضنى، ولا بالعرق المدرار يدرك ذلك وإنما يدرك ذلك بوسائل أخرى أيسر وأسهل تناولا، فهي وسائل لا يعرفها إلا من تعلم لغة العصر، وفطن إلى أساليب اللعب والتسلق على أكتاف الآخرين .

فالحاذق الفطن في لغة المجتمعات المعاصرة، هو من يجيد لغة التملق، فيستطيع بها أن يبني لنفسه على أنقاض إخوانه قصرا منيفا، ولاسيما إذا كانت الغاية عنده تبرر الوسائل.

ونلحظ في السطر الخامس من القصيدة انحدارا شديدا نحو العامية، يبدو ذلك في قول الشاعر: "غير العارف بأول اللعبة.." وهذا الانحدار نحو العامية لا يعني ضعفا تعانيه اللغة العربية، ولا جهلا بها، ولا قصورا في الهمة عن بذل الجهد في دراستها، وإنما نلمح فيه الرغبة في التفكه والدعابة، والفن الشعري هنا "السخرية" يبيح له ذلك.

والسخرية هنا تدل دلالة واضحة على ضيق الشاعر بهذا الانحراف الاجتماعي الذميم ، وعلى رغبته في تطهير المجتمع منه بشتى صوره وأشكاله، ومن السمات البارزة

في هذا النص: الاقتراب من الواقع المر، وإماطة اللثام عن سلبياته بصورة صريحة ومباشرة دون إبهام أو غموض.

لعل السر في ذلك يرجع إلى:الحرية الكبيرة التي اتيحت للشعراء في هذه الفترة .

ومن الصور التي تتجلى فيها ظاهرة "تقديم المفضول على الفاضل": حرمان ذوي المواهب والنابغين، ووصل غيرهم من اللئام والمتملقين.

ومن ذلك قول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من تفشي هذه الظاهرة فى مجتمعنا المصري[1]:

كم كفايات نفاها قومها ... وجهود ألقيت في الطرق

وضعت في موطئ النعل ولو ... أنصفوها وضعت في الحدق

فأت عليهم من بابها ... لا تضع عمرك بين الورق

يسخر الشاعر هنا من الفساد الاجتماعي الذي ترتب عليه انقلاب الموازين في المجتمع ، فقد غدا أصحاب الكفاءات والمواهب كالمنفيين في أوطانهم، وذلك بعد أن ضاعت جهودهم، وانسحقت تحت عجلات الضياع، ولو كان المجتمع منصفا، لوضع جهودهم هذه في الأحداق، وأغلق عليها أجفانه؛ حماية لها، وتقديرا لمكانتها العالية.

وتكمن السخرية اللاذعة في البيت الأخير، حين يكشف الشاعر عن سر تأخر النابغين وأصحاب المواهب ، وهو ابتعادهم عن الرياء والنفاق، وهو ما يعد جرما يعاقبهم عليه المجتمع !!

وقد كان من نتائج هذا العقاب الاجتماعي الذي لحق النابغين والنابهين: أن تغافل المجتمع عنهم وأهمل كل جميل في حياتهم.

يقول الشاعر **"محمود حسن إسماعيل"** مشيرا إلى ذلك[2]:

لم يطب للنبوغ فيك مقام ... لا عليك – الغداة- مني سلام!

١- الديوان/١٢، ١٣، "الرمل التام".

٢- الأعمال الكاملة/،٣٤٧، ٣٤٨ . "الخفيف التام".

المنـــارات تنطفـــي بـــين كفـــيك(م) ويزهـــو بـــشاطئيك الظـــلام
والـــصدى مـــن منـــاقر البـــوم يحيـــا ويمـــوت النـــشيد والإلهـــام
قـــد حبـــوت النعيـــب ظلـــك لكـــن أيـــن قـــرت بـــشطك الأنغـــام ؟
أنـت يـا مـصر واصفحي إن تعتبـ(م)ـت وأشـــجاك مـــن نـــشيدي المـــلام
قـــد رعيـــت الجميـــل في كـــل شـــئ غـــير مـــا أحـــسنت بـــه الأقـــلام!

يسخر الشاعر من الغبن والتجاهل الذي يلقاه النابغون وأصحاب الأقلام الحرة في المجتمع المصري.

فقد أسدل الستار على كل فضل تجاهم ، وانطفأت كل المنارات التي تعلن عن أعمالهم وانجازتهم، بينما علقت اللافتات الكبيرة التي تعلن وتمجد أصوات البوم وأفعال المتسلقين والوصوليين.

وتبدو السخرية اللاذعة – هنا- من خلال التناقض الغريب الذي تفشي في المجتمع المصري، وكان من آثاره: هذه الفوضى وهذا الانحلال القيمي، والتخبط الذي يهدم كيان المجتمع.

*وانطلاقا من هذه الأجواء المعتمة، نجد أن النابغين وأصحاب المواهب كثيرا ما شكوا قلة حظهم ، وبؤسهم وتشردهم في مجتمعهم.

يقول الشاعر **"على الجندى"** ساخرا من حرمان ذوي الآداب وأصحاب المواهب[1]:-

الـــشاعر الفـــذ لا يلقـــي لـــه ســـكنا وشـــعره ســـكن للـــمدنف الوصـــب
لـــو كـــان للغـــرب يعـــزى حـــل منزلـــة ومنـــزلا – بـــالقوافي الغـــر- في الشهب

يسخر الشاعر – في هذين البيتين – من حالة البؤس ، والحظ العاثر الذي يلقاه الأدباء في مصر، فقد كسدت سوق الآداب، وأصم الحكام والقادة آذانهم عن سماع أدبهم

١- ألحان الأصيل/١١٥، ١١٦، "البسيط التام".

وأدارت لهم الحكومات ظهورها فانطفأت الأحلام والآمال في نفوسهم، بينما الجهال من حولهم أصحاب جاه وثراء.

والسخرية – هنا – تصور بؤس النابغين والنابهين في المجتمع المصري، سواء أكان هذا البؤس بؤسا حقيقيا أو موهوما.

*ويتبارى الشاعر **"محمود غنيم"**مع سابقه حين يقول ساخرا ومتبرما من هذه الحال أيضا[1]:

ولقد برمت بمصر حين وجدتها قبر النبوغ ومسرح الجهال

بلد تسربل بالحرير جهوله ومشى الأديب به بلا سربال

أبصرت باب الرزق فيه مفتحا إلا على فمحكم الأقفال

يسخر "محمود غنيم" من سوء حال النابغين في مصر، وتبدو هذه السخرية، حين يجعلها "قبر النبوغ"، بما توحي به كلمة"القبر"من انقباض ، واشمئزاز ، وانعزال عن الحياة.

وتكمن السخرية اللاذعة في البيت الثاني ، حين يعرض الشاعر فيه تلك الصورة المناقضة لسلامة المنطق، وجمال الذوق، وهي صورة إنسان جهول يمشى في المجتمع وقد تسربل بالحرير، وتغطي بالديباج، بينما يظهر في نفس اللوحة أديب يمشى عاريا، ليس عليه ما يستر عورته، أو يوارى جسده.

وهي سخرية لاذعة تبرز فجاجة التناقض ، وتعلن عن حالة التردى التي يعاني منها المجتمع المصري.

*ويواصل الشاعر **"على الجندى"** السخرية من مظاهر الوضاعة والحقارة التى يعانى منها النابغون والنابهون فى المجتمع المصرى، فيقول[2]:

مصر تقضي بها الأسو (م) د وتحيا بها البقر

١- الأعمال الكاملة ج١/ ٢٤٠ "الكامل التام".

٢- ألحان الأصيل/٣٣٠ . "مجزوء الخفيف".

مـــصر حـــرب علـــى الأديـــ (م) ـــب وقـــــبر لمـــــن شعـــــر
مـــصر نـــار علـــى التقـــي (م) وفـــردوس لمـــــن فجـــــر
لأخـــى اللوثـــة النـــضا (م) ر ولمنـــــابغ الحجـــــر
مـــصر لا تـــدفني النبـــو (م) غ حنانيـــــك- في الحفـــــر
مـــصر لا تـــأكلي البنيـــن (م) كمـــا تفـــعل الهـــزر

والنص كله – كما ترى – يفيض بروح السخرية المنبعثة من صيحات الضجر الداخلي، وعدم الرضا النفسي عن الواقع المتردى للنابغين وأهل الفضل.

ويحمل البيت الأخير – في هذا النص – سخرية قاسية، حين يجعل الشاعر مصر هرة متوحشة تأكل أبناءها دونما رحمة أو شفقة.

وإذا كان الشاعر قد بني كلامه في البيت على النهي (مصر لا تأكلي) ، فإن المقصود: أنها أكلت أبناءها بالفعل، بدليل الواقع المزرى الذي يتجرع النابغون والفضلاء مرارته كل يوم.

*ويقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من سوء حال أهل الفضل والنابهين مما ترتب عليه إصابتهم بالإحباط ، وشعورهم باليأس القاتل[1]:

هبـــوا النوابـــغ مـــوتى فـــاجعلوا لهـــم حـــظ النـــواويس أكـــرمتم مثاويهـــا
جعلـــتم الحـــي يرجـــو حـــظ ميتكـــم فحـــظ أحيـــائكم في مـــصر يـــشقيها
أيحـــرم النحـــل غـــض الزهـــر يلفظـــه شـــهدا وقـــد شـــبعت منـــه أفاعيهـــا
ويقتـــل الـــروض ذو الإثمـــار مـــن ظمـــأ والمـــاء يـــروي مواتـــا مـــن فيافيهـــا
مـــن يقتـــل الجهـــد يقتـــل فيـــه أمتـــه وأمـــة الجهـــد تحييـــه فيحييهـــا
إن الـــشعوب إذا ماتـــت مواهبهـــا نقاضـــة أعوزتهـــا كـــف بانيهـــا[2]

١- ديوان أحمد الزين/١٦ . "البسيط التام".
٢- النقاضة: ما نقض من المواهب وأهمل حتى مات.

يبدأ الشاعر كلامه هنا بالسخرية اللاذعة، حين يخاطب أولى الأمر قائلا لهم: هبوا نوابغ مجتمعكم موتى، واجعلوا لهم من الحظ والتكريم ما تجعلونه للأموات

وفي ذلك إشارة إلى إحساس الأحياء من النابغين بأنهم أقل شأنا من الأموات وذلك غاية الظلم.

ثم يختم الشاعر كلامه بالإشارة إلى أن المواهب وملامح النبوغ إذا ماتت في أمة من الأمم، فإنه يعز عليها أن تبنيها أو تقيم لها صرحا بعد ذلك، إذ "للنبوغ في عظمة الأمم حظ كبير، لذلك نرى الشعوب والقبائل يباهي بعضها بعضا بالنابغين في علم أو أدب أو سياسة[1].

٢. الجفاء بعد الوفاء:

من مظاهر انقلاب المقاييس وارتكاس القيم المتفشية في المجتمع المصري: ما نراه من ظاهرة **"الجفاء بعد الوفاء"** والمعروف أن الوفاء للغير من القيم العميقة التي لها دورها الكبير في حياة الأفراد والجماعات والشعوب، ولذا ركز الإسلام على هذه القيمة تركيزا بالغا، وبالرغم من هذا التركيز فإننا نرى صورا متعددة في المجتمع المصري من الجفاء والتنكر للآخرين بصورة تلفت النظر.

وهذا ليس بغريب ؛ لأن الشر والخير موجودان دائما في كل المجتمعات، ولكن الغريب – حقا- هو الإفراط والمبالغة في هذا الانحراف الأخلاقي والسلوكي؛ إذ يترتب على ذلك: هدم العلاقات الإنسانية، وجعل كل فرد ينظر إلى الآخرة نظرة توجس وخوف كما نجد ذلك عند الفيلسوف الإنجليزي

"توماس هوبز" الذي ذهب إلى القول بأن **"الإنسان ذئب لأخيه الإنسان"** وأن الكل في حرب ضد الكل".

١- هدية مجلة الأزهر المجانية – ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ/٧٧ .

ولكن النظرة الإنسانية والدينية الراقية، تقرر أن **"الكل مسئول عن الكل"**[1] لأجل ذلك، وجدنا شعراء مصر في القرن العشرين يقفون في وجه المتنكرين لغيرهم من أهل الجفوة والغدر، والخيانة ، باعتبار أن هذا السلوك الاجتماعي المنحرف مظهر من مظاهر النقص والسلبية التي يجب القضاء عليها في مجتمعنا.

*يقول الشاعر **"على الجندى"** ساخرا من تفشى الجفاء، والغدر، والخيانة، والمكر والخديعة، وذلك من قصيدته **"ثالث المستحيلات"**[2] :

برمت بدهرى بل برمت بأهله ... فما الذنب للأيام بل لهم الذنب
أرقهم قلبا هو الصخر قسوة ... وأكرمهم نفسا هو الغادر الخب
يخونك من تصفيه ودك منهمو ... على حين لا ينسى الوفاء لك الكلب
خطبت الوداد المحض في الناس جاهدا ... فما خطبة إلا أتى إثرها الخطب
أكل خليل تحت برديه ثعلب ... وكل صديق حشو أثوابه ذئب
وأكبر ظني أن عمرى سينقضي ... ولا شرق يسخر بالصديق ولا غرب

يسخر **"على الجندى"** – في هذا النص – من تنكر بعض الإخوان وغدرهم، حتى أصبح من يضم منهم بين جنبيه قلبا قد من الحجارة، هو أرق الأصحاب قلبا، كما أصبح الغادر الغاش المخادع منهم، هو أكرمهم نفسا.

وإذا انقلبت الموازين، واختلت المبادئ في المجتمع حتى أصبح صاحب القلب المتحجر، أرق الموجودين قلبا، وأصبح الغادر المخادع، أكرم الناس نفسا، كان ذلك دليلا على تردى القيم ، وانهيار ملامح الإنسانية في ذلك المجتمع.

ولعل أوضح ما تكون السخرية فى هذا النص فى البيت الثالث:

يخونك من تصفيه ودك منهمو ... على حين لا ينسى الوفاء لك الكلب

١- انظر: مقدمة في علم الأخلاق، د. محمود حمدى زقزوق/١٠٣، طبعة دار الفكر العربي ١٩٩٣م.
٢- انظر: مقدمة في علم الأخلاق، د. محمود حمدى زقزوق/١٠٣، طبعة دار الفكر العربي ١٩٩٣م.

وهي سخرية قاسية ولاذعة، قامت على المقارنة بين موقفين: موقف كثير من الناس من الوفاء بالعهود، وحفظ المودات، وموقف الكلب من ذلك أيضا.

وتوغل السخرية في الإيجاع- هنا – حين تكشف عن تفوق الكلب في الوفاء وفي حفظ المودات على كثير من الناس.

وهذه مفارقة مدهشة ومذهلة، حين يتفوق الحيوان (الكلب) على الإنسان في صفة الوفاء.

*كما تتضح السخرية – أيضا – في قوله:

أكل خليل تحت برديه ثعلب وكل صديق حشو أثوابه ذئب؟!

فهو يرسم صورة لصديق ماكر- في الشطر الأول- فيجعله ثعلبا يرتدي ثياب إنسان كما يرسم صورة أخرى لصديق غادر – في الشطر الثاني- فيجعله ذئبا يبدو في أثواب إنسان.

والسخرية متحققة من خلال الاستفهام الساخر الذي تصدر البيت، ثم من الجمع بين الثعلب والذئب في وصف الصديق، وهما رمزان للمكر والخديعة والغدر.

*ويقول الشاعر "**محمد الماحي**" ساخرا من جفاء أحد إخوانه له حين أصبح وزيرا للأوقاف[1]:

وسعت ساحك الرحيبة حشدا أتراها ضاقت بمثلي رحابا

وأنا المخلص الوفي قديما وحديثا وجل ذاك انتسابا

قد خدمت الأوقاف بالجد عمرا لو قضي مثله الزمان لشابا

وعجيب أن يبلغ الناس-غيرى كل ما يشتهون محضا لبابا

كل ثعر أراه فاض ابتساما غير ثغري الذي يفيض اكتئابا!!

منذ عشرين حجة كنت ألقا ك فألقي السماح والترحابا

أتراني أبغي سواك منيلا أم تراني أرجو سواك جنابا

١- ديوان الماحي/١٦٢ . "بحر الخفيف التام".

يسخر **"الماحي"** في هذه الأبيات من جفاء بعض إخوانه، وذلك حين تبدلت به الحال من الشقاء إلى النعيم، ومن الفقر إلى الغنى.

وقد كان من مظاهر هذه الجفوة: عدم تقريب الأصدقاء القدماء من ساحته ووصول أصحاب الحاجات والمصالح إلى مآربهم، أما الشاعر (الصديق القديم) فمنبوذ مشرد، تنفر منه الوجوه وتتبرأ منه الساحات والمجامع.

والسخرية – هنا – تفيض بالمرارة، وتمتزج بالعلقم، حين يبدو التنكر للإخوان في صورته البشعة المخيفة، التي تأتي على كل الروابط الإنسانية فلا تبقي منها شيئا ولا تذر.

*ويقول شاعر النيل **"حافظ إبراهيم"** ساخرا من ظاهرة الانقلاب مع النعيم والثراء في المجتمع المصري[1]:

تناءيت عنكم فحلت عرا ... وضاعت عهود على ما أرى

وأصبح حبل اتصالي بكم ... كخيط الغزالة بعد النوى[2]

وقد زل ما كان من ألفة ... ويد زال شهاب الدجي

كأن بقاء الوفا بينكم ... وبيني بقاء حباب الحيا[3]

أصبتم تراثا وألهاكم التـ (م) ـكاثر عنا فسر العددا

ومن كان ينسيه إثراؤه ... صديق الخصاصة لا يصطفى

يسخر **"حافظ"** – هنا – من قوم أبعدته الظروف عنهم، فقطعوا الصلة به، وكأن ودا لم يكن بينهم.

وتبدو سخرية **"حافظ"** منهم- في البيت الثاني- حين شبه حبل الصلة الذي بينه وبين هؤلاء القوم بشعاع الشمس الساقط من بعد بعيد، وذلك بجامع الضعف والوهن في كل.

١- ديوان حافظ /١٩٦، ١٩٧ . "بحر المتقارب التام".
٢- الغزالة: الشمس ، وخيطها : شعاعها.
٣- الحباب: الفقاقيع التي تعلو سطح الماء. والحيا : المطر.

والمعنى: أن أحبال الصلة التي تربطه بهؤلاء أصبحت ضعيفة وواهية، وقد ترتب على ذلك زوال الود والألفة، وتبخر المحبة والوداد.

كما تبدو قوة السخرية – في البيت الرابع – حين يربط الشاعر بقاء الود والوفاء بينه وبين هؤلاء المتنكرين والمخادعين ، ببقاء الفقاقيع التي تعلو سطح الماء.

ومعلوم أن بقاء هذه الفقاقيع على حالها دون انفجار، أمر مستحيل، فكذلك بقاء الوفاء بينه وبينهم محال.

والربط بين **"الوفاء والفقاقيع"** وجودا وعدما، أمر طريف ، ولعله من فرائد المعاني التي ترد في شعر حافظ إبراهيم.

وقد تنتقل آفة الجفاء وتتسع، فتشمل الجفاء الواقع بين الأقارب.

*ومن ذلك قول الشاعر**"محمد الأسمر"**ساخرا من إنسان يصلى ولكنه يجفوا أقاربه[1]:

عجبت للراكع الجافي قرابته ... يا ليته وصل القربي كما ركعا

هيهات تنفعه خمس يقوم بهامع النوافل ... أو أن يشهد الجمعا

من لم يود لأهل الأرض حقهم ... فليس عندي بما صلاه منتفعا

والناس فيهذه الدنيا ذوو رحم ... يا ليت شعري أني أصبحوا شيعا

فالشاعر **"الأسمر"** يسخر – في هذه الأبيات- من إنسان مصل، ولكنه مع ذلك يجفوا أقاربه وذوى رحمه.

ومبعث السخرية هنا – كما يبدو – أن هذا الإنسان – من وجهة نظر الشاعر- قد جمع بين أمرين لا يمكن الجمع بينهما في العادة، وهما أداء الصلاة، ومجافاة الأقارب، يدل على ذلك تعبيره بالفعل **"عجبت.."** في مطلع البيت الأول، وهو يصور حالة الاندهاش والاستغراب التي سيطرت على الشاعر إزاء هذا الأمر.

١- انظر هذه الأبيات في : مع الشعراء المعاصرين، د. محمد خفاجي/١٠٨ "بحر البسيط التام".

ولا تعجبني أحكام الشاعر في البيتين الثاني والثالث، فقد نصب من نفسه مشرعا واشتط في إلقاء الأحكام جزافا، فالذي يجفو أقاربه عند الشاعر:لا تنفعه صلاة الفرائض ولا النوافل ، ولا حتى الجمع، وهذا القول لم يقل به أحد على حد علمي.

*وفي النصف الثاني من القرن العشرين، نجد الشاعر **"عبد المنعم عواد يوسف"** هو الآخر يئن من نفس الألم الذي أن منه الشعراء في النصف الأول، فهو يسخر من جفاء الإخوان بعد وفائهم، وذلك من قصيدته **"التناسي"**[1] :

- كان صديقي يوما من ذات الأيام ..

- كانت تجمع بينا الصحبة، تتوحد فينا إشراقا

- أحلى آفاق الأحلام.

- نغرس بذرونا د في بستان القلب

- نسقي الشجر الطالع ماء الصفو

- هذا كان ..

- كان ؟ ! ماذا تقصد ؟

- أو ما عاد الود الآن ؟

- اسمع قولي : نحن نعيش بزمن الجدب..

- أبخل من أن ينبت يوما نبتة حب..

- أبخل من أن يثمر يوما حبة صفو..

- لا تنبت أشجار العلقم إلا العلقم !!

- لا أبكي فيه الإنسان.

- لكن أبكي عهدا كان

- حبا أينع ذات زمان..

١- الأعمال الكاملة، ج١/١٧١، ١٧٢، ١٧٣ .

- **أما الآن !!**
- **هذا زمن الجدب، أجل ٠٠ زمن النسيان !!** (١)

يسخر الشاعر-هنا- من جفاف ماء الوفاء والوداد في قلوب الناس في المجتمع المصري في الفترة المعاصرة، فقد مضي زمن الحب والود، وعقم الزمن عن أن ينبت الصفو والحب في القلوب كما كانت في سالف عهودها٠

فلقد تفرعنت أشجار العلقم في هذا الزمن، وهي لا تثمر إلا علقما مرا في زمن جدب، ضاعت فيه كل القيم والمبادئ في دوامات النسيان والجحود!

ولعلك تلحظ أن الشاعر عبر- هنا – عن الصفو والوداد من خلال سطر شعري قصير ، يقول فيه معبرا عن ضياع هذه القيم: "هذا كان"٠٠ كان الحب والوداد والصفو في زمن مضى، أما الآن فلم يبق من ذلك كله إلا أطلال شاحبة بالية، تداس بالأقدام في زمن طغت فيه ماديات الحياة، وتربعت فوق الأعناق٠

والسخرية – هنا – تدل دلالة واضحة على رفض هذا السلوك العدائي المخالف لروح المجتمع، وللفطرة الإنسانية السليمة، التي تدعو الناس إلى الترابط والتماسك، وطرح دواعي التفكك والضعف التي لم نجن من ورائها إلا الدمار والصغار٠

٣.السخرية من شيوع الزواج غير المتكافئ:

من المظاهر الدالة على انقلاب المقاييس وارتكاس القيم في المجتمع المصري في القرن العشرين: ما شاع بين بعض المصريين من التزوج بأكثر من واحدة دون هدف شرعي لذلك، ودون أن تكون لديه القدرة على الإنفاق، والسكن، وإقامة العدل بينهن فيترتب على ذلك فساد كبير، وخطر جسيم، خاصة وأن الواقع المشاهد يعلن – في صراحة- أن البيت الذي فيه زوجان أو ثلاث أو أربع لزوج واحد، لا تستقيم له حال، ولا يقوم فيه نظام، ثم يجئ الأولاد بعضهم لبعض عدو٠

١- القصيدة من بحر الرجز ٠

فمفسدة تعدد الزوجات تنتقل من الأفراد إلى البيوت، ومن البيوت إلى الأمة. ومما يسترعى الانتباه في هذا الشأن: إقدام كثير من الرجال الذين تقدمت بهم السن وأحنت ظهورهم الأيام، على فكرة الزواج من الفتيات الصغيرات في السن ،تدفعهم إلى ذلك نوازع التصابي، ودواعى الشباب؛بعد أن ثارت في نفوسهم غريزة حب الانتقام لأنفسهم من عهد قديم بخل عليهم بالمتع والشهوات وقد وقف الشعراء المصريون في القرن العشرين لهذه الظاهرة بالمرصاد، وقبحوا صنع أصحابها، وسخروا من الزواج حين لا تتوافر فيه الكفاءة بين الطرفين ، وحين يكون الهدف والغرض منه إشباع رغبة النفس، والمتعة الجسدية فقط.

*يقول أمير الشعراء "**أحمد شوقي**" ساخرا ممن يندفعون إلى هذا الباب دون تفكر في العواقب وذلك من قصيدته "**عبث المشيب**"[١] :

كثرت على دار السعادة زمرة ... من مصر أهل مزارع ويسار[٢]

يتزوجون على نساء تحتهم ... لا صاحبات بغي ولا بشرار[٣]

من كل ذي سبعين يكتم شيبه ... والشيب في فوديه ضوء نهار[٤]

يأبى له في الشيب غير سفاهة ... قلب صغير الهم والأوطار[٥]

ما حله عطف ولا رفق ولا ... بر بأهل أو هوى لديار

كم ناهد في اللاعبات صغيرة ... ألهته عن حفد بمصر صغار[٦]

ومهما غدا أو راح في جولاته ... دفعته خاطبة إلى سمسار[٧]

١- الشوقيات، المجلد الأول، الجزء الأول/١٢٩، ١٣٠ .
٢- دار السعادة: هي الآستانة. الزمرة: الجماعة متفرقة. واليسار: الغنى.
٣- البغي والبغاء: الزنا – مقصور وممدود.
٤- الفودان: تثنية فود، وهو معظم الرأس مما يلي الأذن، وقيل: هو ناصية الرأس .
٥- الهم ما يهم به الإنسان في نفسه . والأوطار: جمع وطر، وهو الحاجة.
٦- الناهد: الجارية التي ارتفع ثديها. والحفد: (بفتح الفاء) جمع حافد وحفيد، وهو ولد الولد.
٧- الخاطبة: من تتوسط في تزويج الرجال من النساء.

شـــغل المـــشايخ بالمتاب،وشـــغله بتبـــدل الأزواج والأصهـــار[1]

يسخر الشاعر " **أحمد شوقي**" في هذا النص من بعض الأغنياء المصريين الذين كانوا يقضون أوقات الصيف في الآستانة، وقد أخذوا يتسابقون في الزواج بالفتيات التركيات، وقد جاراهم كثيرون في التزوج من فتيات تركيات، دون اعتبار لفارق السن الكبير الذي يكون بين الزوج والزوجة في مثل هذه الحالة، ودون نظر إلى المستقبل القريب الذي تصاب فيه الزوجات الجديدات بالترمل، وينكب الأطفال باليتم، وتمزق فيه روابط الإخوة أبناء العلات[2].

وتكمن السخرية في هذا النص في: وصف هؤلاء الأغنياء بالظلم لزوجاتهم، وإيقاع الضرر بهن بالتماس ضرائر لهن من الأتراك، وهن العفيفات، الطيبات، رفيقات العمر وأمهات الأبناء.

كما تكمن السخرية: في تهكم الشاعر بهؤلاء الرجال الذين تقدمت بهم السن، ثم هم يتصابون وكأنهم في ميعة الشباب، ثم هم يحاولون ستر الشيب النابض فيهم بصبغ شعورهم، والتزوج من فتيات صغيرات في أعمار حفيداتهم.

كما تكمن السخرية اللاذعة في البيت الأخير، من هؤلاء المسنين : حين ينشغل أترابهم في السن بالتوبة والإنابة إلى الله، بينما هم مشغولون بالنزوات والأهواء والاستجابة للنزق، والتنقل من زوجة إلى زوجة أخرى كما يتنقل الطائر من شجرة إلى شجرة.

*ويقول الشاعر "**محمد الأسمر**" ساخرا من الزواج الذي لا تتوفر فيه الكفاءة بين الزوجين ، وذلك من قصيدته "**مآتم الأفراح**"[3] :

مـــا زفـــاف الفتـــاة للـــشيخ إلا مأتمـــا هيئـــوه في شكـــل عـــرس

هـــو يمـــضي منهـــا لكوكـــب ســـعد وهـــي تمـــضي منـــه لكوكـــب نحـــس

١- المشايخ: من أدركتهم الشيخوخة مثله، والمتاب: التوبة.

٢- انظر: أضواء على الأدب الحديث، د/أحمد الحوفى،/١٤٥، ١٤٦ ، الطبعة الأولى، دار المعارف١٩٨١

٣- ديوان الأسمر/٤٧٨، ٤٧٩ .

هـي كـاليوم وهـو كـالأمس فاعجـب ... لمكـان يـضم يومـا لأمـس!!
أنـس الـشيخ بالفتـاة وإن لـم ... يـك فيـه لمثلـها أي أنـس
ضـل مـن زوجـوا الفتـاة بـشيخ ... أي ليـل ضـموا لأيـة شمـس
إن بيـع الفتـاة للـشيخ بالمـا ... ل على وفـر، لبيعـة نحـس
للفتـاة الفتـى، وللـشيخ أخـرى ... عودهـا مثلـه ضـعيف المجـس[1]

يسخر الشاعر **"الأسمر"** في هذه الأبيات من زواج الشيخ المسن بالفتاة الصغيرة ويصوره بصورة مأتم تقبر في أحضانه الأحلام والآمال الصغيرة!

وما ذلك إلا لعدم التناسب والتكافؤ بين الزوجين في السن والميول والأفكار، فالفتاة تعيش بعقل اليوم وأحلامه الوردية، وهذا الشيخ يعيش بعقل الأمس الشاحب، وعجيب أن يجتمع اليوم والأمس في مكان واحد!!

وتبدو السخرية هنا: في تصوير زفاف الفتاة الصغيرة للشيخ الكبير بصورة المأتم بما توحي به كلمة (المأتم) من اشتمئزاز وانقباض وتوجس الخوف.

وقد أكد الشاعر هذا المعنى عن طريق استعماله لأسلوب القصر المعتمد على النفي والاستثناء.

كما تبدو السخرية – أيضا – في الأبيات: الثاني، والثالث، والرابع، وقد اعتمد الشاعر في سخريته هنا على ذكر المتناقضات، أو قل: إنه اعتمد فيها على أسلوب المقارنة بين حالين: حال فتاة تمضي لكوكب سعد، تمثل اليوم بما فيه من حضور وجمال وإشراق وهي تؤنس من بجوارها، وبين حال شيخ فان: يمضي لكوكب نحس، ويمثل الأمس بما فيه من شحوب وانطفاء، ولا يؤنس جاره.

وهي سخرية لاذعة مؤلمة، تستفز المشاعر إلى رفض هذا السلوك الاجتماعي، الذي يترتب عليه اختلال الموازين، وانقلاب المقاييس.

١- الأبيات من بحر الخفيف التام.

وفي البيت السادس، ينتزع الشاعر لفظ(البيع) من مقامه الأصلي، ويستعمله في مقام أبعد ما يكون منه مناسبة، وهو الزواج غير المكافئ وهي سخرية لاذعة.

- ولما للتكافؤ بين الزوجين في السن من أهمية كبيرة، نجد أمير الشعراء **"أحمد شوقي"** يقول ضاربا على نفس الوتر[1]:

بعض الزواج مذمم ، ما بالزنا ... والرق إن قيسا به من عار

فتشت لم أر في الزواج كفاءة ... ككفاءة الأزواج في الأعمار

فهو يسخر في هذين البيتين من هذه النوعية من الزواج الذي لا يتحقق فيه مبدأ التكافؤ في السن بين الزوجين ويعتبره في شناعته أحط من الزنا والرق.

والشاعر – كما يبدو- لا يقصد حقيقة أن الزنا والرق أشرف من الزواج غير المتكافئ في السن، وإنما هو يبالغ في التحذير منه، ويصوره بهذه الصورة المنفرة ، حتى ينصرف الناس عنه.

٤.السخرية من انحطاط الهمم:

علو الهمة من أنبل الصفات، وأعز الفضائل التي يجب أن يتسم بها الإنسان، وعلو الهمة أو كبرها يعني أن يتعرف الإنسان على مهمته في الحياة، ثم يقتحم في سبيل ذلك المصاعب ويدفع كل ما يعترضه من عوائق، طارحا عنه أغلال الخمول والكسل ومركبات النقص التي تستهويه إلى الأرض، وتقعد به عن مواصلة أي نشاط فيه سعادته وسعادة أمته.

فكل ساعة تمضي قابلة لأن يضع الإنسان فيها حجرا يزداد به صرح مجده ارتفاعا وتألقا، مهما كان حجم الشدائد أو العوائق، ولا يستهين بالشدائد إلا كبير الهمة ماضي العزيمة[2].

١- الشوقيات، المجلد الأول، الجزء الأول/١٣٩ "الكامل التام".

٢- انظر: هدية مجلة الأزهر، عدد ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ /٢١، ٢٣، من مقال بعنوان: "كبر الهمة في العلم" للشيخ / محمد الخضر حسين.

ولكننا عندما ننظر إلى كثير من الشباب المصري – ولاسيما في النصف الأول من القرن العشرين – نجد أن الأمور عنده قد اختلفت ، وأن الموازين قد اختلت؛ فأصبحوا وقد انحطت هممهم، وسفلت أمانيهم، وصغرت أحلامهم، وخيم عليهم الخمول والجمود الفكري، وانطفأت جذوة الحماس والنشاط في نفوسهم.

وهذا معناه **"أن المجتمعات الإسلامية انصرفت عن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى العلم، والمعرفة ، واستعمال العقل، والفكر، في كل ما من شأنه أن يأخذ بالناس إلى الطريق السليم، وإكب هذا الانصراف: انحطاط في القيم، ودعوات إلى الركون إلى المتع والعبث بالأموال إلى حد السفه، والجنون، والترف، والفجور، وتصارع على كل تافه وخسيس من المادة، وخراب للذمم، وبيع للشرف، وكر، للقيم، وضياع للحق، وهضم للحقوق، ونبح للفضيلة"** [1].

لذا وقف شعراء مصر – في القرن العشرين – محاربين هذه السلبية البغيضة ساخرين من كل راكد وخامد يتمنى الأماني، بينما العجز والكسل يجذبه إلى الأرض.

*يقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من تأخر المصريين، وخمولهم، وانحطاط هممهم[2]:

يـــا حـــالمين بمجـــد مـــصر الزائـــل ... هيهـــات تـــبني ركـــنه يـــد عاطـــل

وضـــح الهـــدى والقوم بـــين أخـــى كـــرى ... لا يـــستفيق وبـــين صـــاح غافـــل

قـــل للـــذي طلـــب المعـــالي قاعـــدا ... لا مجـــد في الـــدنيا لغـــير العامـــل

بنـــت الـــشعوب على الـــصناعة عزهـــا ... فـــالنجم يرمقـــه بعـــين الذاهـــل

تركـــوا الزهـــادة في الحيـــاة لعاجـــز ... راض مـــن الـــدنيا بعيـــش الخامـــل

خلقـــوا مـــن العـــدم الوجـــود وأوشـــكوا ... أن يجعلـــوا للـــصخر عقـــل العاقـــل[3]

١- الغزو الفكري في التصور الإسلامي، د/أحمد عبد الرحيم السايح/ ٣٣، ٣٤ .
٢- ديوان أحمد الزين/٣١ .
٣- الأبيات من بحر الكامل التام.

يسخر الشاعر- في هذا النص – من بعض أبناء مصر الذين أخذوا يحلمون بإحراز الأمجاد والمعالي ، بينما هم عاطلون خاملون، فهم ما بين نائم لا يصحو ولا يفيق من نومه وما بين صاح غافل يرعى النوم، وتتراءى له الأماني في سلسلة من السراب الخادع والوهم القاتل.

وتتجلى السخرية – في هذه الأبيات – من خلال اللوحة المقابلة لهذه المعاني فأبناء الغرب: اقتحموا غمار الحياة، وشقوا طريقهم وسط الصخور حتى أوجدوا أنفسهم بعد عدم، وأوشكوا أن يجعلوا للصخور عقلا يفكر؛ وقلبا ينبض.

ومن خلال المقابلة بين الصورتين، يتبين لنا خطأ المسلك، وانحطاط الهمة عند الشباب المصري، وهو ما يدفع بالشعراء إلى تكرار النداء والدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي والتغيير نحو الأمثل.

*ويقول الشاعر **"عبد الرحمن شكري"** ساخرا من انحطاط همة الإنسان المصري عموما في فترة النصف الأول من القرن العشرين، وذلك من قصيدته **"طبع الإنسان"** [1]:

إنما المرء خيال زائل	سعة الآمال فيه كالقدم
مثل قدر الخلد أطماع له	وبه عجز وضيق في الهمم
ويود المرء لو نال السهى	وهو فوق الأرض لما يحتكم
فهو مثل الطفل في آماله	يبتغي النجم منالا من أمم

يسخر الشاعر – في هذه الأبيات – من انقلاب المقاييس ، واختلال الموازين عند الإنسان المصري في هذه المرحلة، وما ذلك إلا لضيق في همته، وصغر في عزيمته، وعدم رغبته في التصارع مع الحياة من أجل إثبات الوجود، وتحقيق الذات.

١- ديوان شكري/٢٢٩ . "بحر الرمل التام".

وتكمن السخرية: في تشبيه الشاعر لإنسان هذه المرحلة بالطفل حين يرغب في تحقيق كل الآمال التي ترد إلى ذهنه بسهولة ويسر، دون أدني جهد أو عرق وهذا ما يرفضه الواقع، فالحياة صراع دائم من أجل الحياة والبقاء، ولا مكان فيها للكسالى والمتخاذلين.

*ويقول **"العقاد"** ساخرا من انحطاط همم الشباب المصري، وذلك من قصيدته **"شبان مصر"** [1]:

شبان مصر وما أدرى أهم زمر ... من الأناسى أم هم رسم وشاء[2]

آمالهم في المعالي تحت أرجلهم ... فما ينالونها إلا بإحناء

قد أكملوا النقص موفورا فلا عجب ... ألا يضيقوا بتنقيص الأجلاء

نحوا وجوهكم عني فقد سئمت ... نفسي المقابر في أسلاخ احياء

يسخر **"العقاد"** في هذه الأبيات من شباب مصر، ويصفهم ببعض الصفات السيئة فآمالهم في المجد والعلا صغيرة صغر هممهم، وضئيلة ضآلة نفوسهم، أما جوانب النقص فهي كاملة ومتوفرة عندهم حتى إنها فاضت على الأجلاء والفضلاء من أبناء المجتمع فأحدثت لهم الأضرار والمتاعب النفسية.

ولعل السخرية تبدو – بوضوح – في البيت الأول ، فقد بناها الشاعر على أمر مظنون، وغير مقطوع به، فهو يتشكك في كنه شباب مصر جماعات حقيقية من الناس لها حياة ، ولها نبض وإحساس، أم هم رسوم خطها وشاء بيده فوق ثوب.

وهذا التشكك أشد إيلاما في السخرية؛ لأنه بالشك يسلب شباب مصر كل الصفات الحميدة كالرجولة وعلو الهمة، والأنفة، وعزة النفس ، فهم لا يعدون من الأحياء ولا يعدون حتى رسوما فوق ثوب... وهذا منتهى السخرية اللاذعة القاتلة.

وهدف السخرية هنا: استنفار الهمم والعزائم في وجدان الشباب المصري، وانتزاعه من حياة الدعة والخمول التي تغتال على أرضها كل الآمال والأحلام.

١- ديوان العقاد/١٥٩ . "البسيط التام".

٢- الأناسى: الإنسان. والوشاء: صانع الوشى، والوشى:نقش الثوب وغيره.

وتبدو مظاهر انحطاط الهمم عند الشباب المصري في افتقاده النخوة والرجولة واهتمامه بالقشور التافهة، وتركه عظائم الأمور، يقول **"العقاد"** مشيرا إلى ذلك[1]:

ويضحك المرء منكم وهو عن عرض ... يرمى بلمز وإيقاع وبغضاء

يخشى على ثوبه نقط المداد ولا ... يخشى على عرضه تمزيق فراء[2]

"فالعقاد" يسخر – في هذين البيتين – من فئة من الشباب المصري، افتقدت ملامح النخوة والرجولة، واتصفت بانحطاط الهمم، وضآلة المقاصد والغايات.

فترى الواحد منهم يضحك ملء فيه، ويخشى على ثوبه أن يغبر بمداد الكتابة بينما لا يتحرك فيه ساكن،ولا يثور الدم في عروقه إذا انتهك عرضه الأوغاد، أو داست كرامته النعال!

ولعل مكمن قوة السخرية – هنا- يبدو في هذا التناقض الغريب الذي يجسده الطباق السلبي بين الفعلين (يخشى، ولا يخشى) حيث يبدو بعض الشباب وقد تخلي عن نخوته ورجولته فهو يخشى على ثوبه أن يغبر بمداد الكتابة، ولا يخشى على عرضه من التمزيق، وهو أمر يستفز المشاعر والطباع السليمة، ويدفعها إلى السخرية والتهكم.

٥. مقابلة المعروف بالإساءة:

من الآفات الاجتماعية البغيضة التي انتشرت في مجتمعنا المصري، آفة التنكر لأهل المعروف، وعدم الاعترَاف لهم بالفضل، الذي يستدعى تقديم الشكر لهم، وهذا مما يحقق نوعا من التضامن والترَابط بين أفراد المجتمع الإنساني.

"ولكن كثيرا ما يضن الناس حتى بكلمة الشكر التي لا تكلفهم شيئا في مقابل ما يقدم لهم من خدمات، ويستخدمون بدلا من ذلك كلمات لا تعبر عن الشكر والامتنان الذي يؤكد الصلات بين الناس، أو لا نسمع منهم شيئا بالمرة، أو نسمع ما يدل على النكران وعدم الاعترَاف بالجميل"[3] .

١- ديوان العقاد/١٦٠ .
٢- البيتان من بحر البسيط التام.
٣- قيم منسية/١٠٦ .

وإذا كان عدم مقابلة المعروف بمثله يعد لونا من ألوان الجفوة والقطيعة، فإن مقابلة المعروف بالمعروف، وشكر مسديه ، هي لون من التحضر الإنساني الذي يرقى بصاحبه، وبالتالي يعود على المجتمع الإنساني بالنتائج الطيبة.

يقول الشاعر **"حسن فهمى"** ساخرا من مقابلة المعروف بالإساءة[1]:

إذا أنـــا حاولـــت النهـــوض إلى العـــلا بقـــومي جـــاءوني بقاصـــمة الظهـــر

فقـــومي نعـــام لـــيس يخـــشى عديـــدهم وفـــيهم لئـــام عـــاكفون علـــى الـــشر

يسخر الشاعر – هنا – من أبناء قومه في مصر، ويصفهم بتعطيل أي حركة للنهوض والارتقاء بالمجتمع، وما ذلك إلا لأن فيهم لئاما وأشرارا عاكفين على فعل الشرور وتدمير وجوه الإصلاح في المجتمع.

وتكمن السخرية هنا: في وصف الشاعر لأبناء قومه بالمسارعة إلى الشرور ومحاربة بواعث النهوض، يبدو ذلك في أن الشاعر جعل **أن "مجرد"** محاولته النهوض إلى العلا ترتب عليها، أن جاءوه بنكبة تقصم الظهر، وتغل الفؤاد.

فالرد عنيف ومتهور، ولا يعبر عن نفس متحضرة تستقبل بوادر النهوض ببشر وترحيب.

وعلى نفس هذا الدرب تبدو خطا الشاعر"عبد المنعم عواد" حين يقول ساخرا من ظاهرة إنكار المعروف، ونسيان الجميل، وذلك من قصيدته **"ثلاثة أوجه لعملة واحدة سنة ١٩٨٢م"** [2]:

- **كان صبيا من أبنائي.**
- **كان نباتا يطلع رخوا ذات زمان..**
- **كم أسبغت عليه ظلالي ساعة كان صغيرا يحبو في ..**
- **بستاني!**

١- ديوان مرآتي /٥٥ . "البحر الطويل" .
٢- الأعمال الكاملة، ج١/١٦٩، ١٧٠، ١٧١ .

- كم ذا قد أغدقت عليه الصافي من ينبوع..
- حنانى !
- حقا حقا .. أما الآن..
- يا لتصاريف الأزمان !!
- ماذا تصنع حين ترى الأشواك محل الزهر..
- تجرح أول من قد غرس النبتة ذات زمان !
- ماذا تملك إلا أن يأكلك القهر
- أن تغرس في يوم نبتا ، أمل حلو..
- توضع غرسك رحم الأرض، وتبقي ترتب ما يطلعه..
- غرسك !!
- يطلع زهرا
- يثمر خيرا
- ينشر عطرا
- يبهج نفسا
- لكن أن يفجأك الشوك !!
- يبرز من بين الأوراق..
- يجرح كفا ذات زمان..
- منحت هذا الغرس حياته !!
- شئ مر!![1].

يسخر الشاعر "**عبد المنعم عواد**" في هذه القصيدة من ظاهرة انقلاب الموازين وارتكاس القيم في المجتمع المصري، ويبدو ذلك – بوضوح – حين لا يعترف الإنسان فلا يقر

١- القصيدة من بحر الرجز.

بالفضل لأصحاب الفضل، أو حين ينسى أو يتناسى المعروف أو الجميل الذي أسدوه إليه في سالف الأيام.

فحين تنطفئ المودات والصلات، وتتبخر عوامل التقارب والترابط بين أفراد المجتمع، تحدث الجفوة وتكون القطيعة والنشاز.

وتكمن السخرية في هذه القصيدة: حين يتعجب الشاعر، ويسخر من تصاريف الأزمان، حين ينبت الشوك في محل الأزهار، فيجرح يد من زرعه في أول الأمر.

وهي صورة رمزية، قصد بها أن بعض الناس يصبح – أحيانا- كالشوك، يؤذي اليد التي امتدت إليه بالمعونة في وقت ضعفه وقلة حيلته، متناسيا ما كان يصل إليه من العطف والحنان في الموضع الخشن .

وهذا لون من اللؤم الذي يفقد صاحبه قيمة الشكر، وينأى به عن موطن الإقرار بالحق، والحق كبير فلا تصغره بالصغائر كما يقول شوقي[1].

● المبحث الرابع:

.السخرية من الظلم الاجتماعي:

كثيرا ما يشكو الناس من الظلم ومن قسوته؛ إذ له فظاعته ومرارته التي لا تتحملها نفس الإنسان، ولذا كان "من الطبيعي أن يثور المظلوم على ظالمه، طالما أن الظالم قد استمر يكتم أنفاس المظلوم ، ولابد أن يحدث غليانا يأخذ شكلا ما من أشكال التعبير عن النفس المقهورة"[2] .

والظلم الاجتماعي – باعتباره نوعا من أنواع الظلم – له – أيضا – قسوته ومرارته على نفس الإنسان الذي يقع عليه هذا الظلم، حيث يشعر الإنسان المظلوم بجرح غائر في نفسه ينزف أسى وكمدا يجعله يكره الحياة والأحياء.

١- أسواق الذهب/١٢٩، ملتزم الطبع والنشر ، المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة ١٩٥١م.

٢- ظاهرة الفقر في الشعر العربي ، د. زكي عابدين غريب/١٣، مركز الدلتا للطباعة – ٢٤ ش الدلتا- اسبورتنج ١٩٩١م.

ومن هنا "أوصى الإسلام بتحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع، فلا يجوز لذي قوة وبطش في المجتمع أن يستغل هذا المركز في أكل حقوق المواطنين، ولا يحل لصاحب مال أو جاه أن يستخدمه في استغلال الناس واستعبادهم، ولا ينبغي لمن بيده مصادر الطعام والشراب، أن يتصرف فيها على نحو يسئ إلى المواطنين ، فكل قادر على تخفيف آلام الناس وتسهيل الحياة عليهم، وجب عليه أن يقدم ما عنده للمحتاج إليه.. فإذا قامت العلاقة بين المواطنين على أساس الشعور بالأخوة، فحافظ كل فرد على حقوق الآخرين الذين يعيشون معه في المجتمع، وبذل من يقدر على العطاء للمحتاجين كل ما من شأنه أن يخفف عنهم عبء الحياة، والتزم جميع الأفراد بالتواصل بالخير، والنهي عن المنكر، لأصبح المجتمع متماسكا قويا، قادرا على الإنجازات الحضارية في جميع الميادين، وذلك ما ينشده الإسلام للمجتمعات الإنسانية" [1].

لأجل ذلك، كان شعراء مصر في القرن العشرين، يقابلون أي مظهر من مظاهر الظلم الاجتماعي بالرفض والاستنكار ، باعتبار أنه سلوك مخالف للدين، ومخالف لطبيعة المنطق السليم، فضلا عن اعتباره آفة من الآفات الاجتماعية التي تهدم كيان المجتمع وتفصم عرى المودة بين أبنائه.

وقد بدت مظاهر الظلم الاجتماعي في مصر في القرن العشرين في عدة ملامح منها:

١. الفوارق الطبقية:

الطبقية تعنى ألا يكون الناس في المجتمع على درجة واحدة من المساواة ، ويذكر الدكتور محمد مصطفى هدارة أن السبب الرئيس لذلك هو العامل الاقتصادي.

يقول : "الحالة الاقتصادية في أي دولة تؤثر تأثيرا عميقا في كيانها، وفي نواحي الحياة فيها... إن الاقتصاد يحدد وجهات الناس في الحياة، ويهيئ لهم سبل التفاؤل

١- الأزهر، عدد رجب سنة ١٤١٩هـ - نوفمبر سنة ١٩٩٨م /١٠٧٨، ١٠٧٩، من مقال بعنوان "العلاقات الاجتماعية في الإسلام" للدكتور/محمد شامة.

أو التشاؤم، ويشيع فيهم السعادة أو الشقاء، إنه يدعوهم إلى الإيمان أو يؤدي بهم إلى الجحود والنكران، فإذا قال قائل: إن المال ميزان الشعوب لم يخطئ ولم يتزيد" [1].

فالعامل الاقتصادي له أثره الواضح في تقسيم الناس في المجتمع إلى طبقات بعضها فوق بعض.

لذا يقول الشاعر **"محمود أبو الوفا"** ساخرا من الفوارق الطبقية التي لا تموت[2]:

عهد الجهالات أم عهد الحضارات؟ لن يبرح الناس عبدانا وسادات

فوارق ستسود الأرض ما لبثت تلك العداوة بين الذئب والشاة

يسخر الشاعر في هذين البيتين – من النظام الطبقي الموجود في المجتمع المصري في القرن العشرين، والذي أصبح جزءا من طبيعة الناس، فقد أصبح ذلك فيهم كالغريزة التي تدفع الذئب لافتراس الشاة، وتدفع الشاة لكراهية الذئب وبغضه وتكن السخرية هنا: في هذا التساؤل الذي يبدأ الشاعر به كلامه:

عهد الجهالات أم عهد الحضارات؟

وهو سؤال سخرية وتهكم، إذ المفترض أن يكون عهد الحضارات الذي نعيشه اليوم أفضل حالا من عهود العبودية والاستعباد التي سيطرت على الناس قديما، ولكن وجود الفوارق الطبقية اليوم، في مجتمعات الديمقراطية والحضارة، يكشف عن بعد اجتماعي وهو أن الفوارق الطبقية قد أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياة الناس ، وهو ما يعلن عن بقاء الداء الذي ينخر في أوصال المجتمع.

*ويقول الشاعر **"محمود غنيم"** ساخرا من تفشي الفوارق الطبقية، واتساع نطاقها[3]:

من قسم الناس أجناسا : فذاك له مجد وذلك لا مجد ولا جاه ؟

١- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجرى/١١٣ بتصرف يسير، الطبعة الأولى،المكتب الإسلامي ١٩٨١م.

٢- محمود أبو الوفا- دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه/٨٨ "البسيط التام".

٣- الأعمال الكاملة/١٠٠ "البسيط التام" .

مـــن قـــسم الـــدم: هـــذا آســـن كـــدر وذاك مـن نفحـات المسك ريـاه؟ [1]
أبناء آدم، ما تلك الفوارق ؟ هل منكم له ابن ومـــــنكم مـــــن تبنـــــاه؟
لم يخلـــق النـــاس مـــن درومـــن خـــزف مهمـــا علـــوا-للنـــاس أشـــباه
لا تغـــل نفـــسك أو تـــرخص أخـــاك فقـــد ســـواك ربـــك مـــن طيـــن وســـواه
لا تقـــل : هـــذه أنثـــى وإن ضعفـــت أمـــا تـــدبر ملـــك النحـــل أنثـــاه؟

يسخر الشاعر – في هذا النص – من تفشى الفوارق الطبقية في المجتمع المصري واتساع مجالاتها، إذ لم تعد مقصورة على كون هذا غنيا، وذاك فقيرا، وإنما امتدت إلى الدم أيضا، فهذا دمه آسن كدر، وذاك دمه يفوح عطرا وطيبا.

وتكمن سخرية الشاعر- هنا – فى التساؤل الساخر الذي يطرحه فى بيته الثالث

أبنـــاء آدم، مـــا تلـــك الفـــوارق؟ هـــل مـــنكم لـــه ابـــن، ومـــنكم مـــن تبنـــاه ؟

فهو يتهكم بأبناء آدم الذين وضعوا الفوارق، وأقاموا الحواجز فيما بينهم، وكأن صاحب المجد منهم هو الابن الصريح لآدم ، والذي لا مجد له ولا جاه هو ابن لآدم أيضا .. ولكن بالتبني!!

وفرق كبير بين الابن الصريح، والابن المتبني.

والسخرية هنا تدل دلالة واضحة على فداحة الفوارق الطبقية وذلك من خلال تصويرها بهذه الصورة التجسيمية.

* وهذا الشاعر "**محمد الأسمر**" يقول ساخرا من الفوارق الطبقية التي جرعت الطبقة العاملة الكادحة غصص الألم والمرار[2]:

بـــــلاد لا يعـــــيش بهـــــا كـــــريم ولا يحيـــــا بهـــــا إلا البخيـــــل
تـــــرى فقراءهـــــا حطبـــــا لنـــــار بهـــــا للأغنيـــــاء الســـــبيل

١- آسن: تغيرت رائحته. رياه: الريا: الرائحة الطيبة.
٢- ديوان الأسمر،/٤٨٢، ٤٨٣ ، "بحر الوافر التام".

فهـــــذا كـــــادح أبـــــدا وهـــــذا لـــــه الجنـــــات والظـــل الظليـــل

يسخر الأسمر –في هذه الأبيات – من موجة البؤس التي اجتاحت الفقراء الذين يمثلون الطبقة الكادحة في المجتمع المصري، ومع ذلك فهم يشقون لينعم الأغنياء والمترفون ولا ينالون من كدهم وعنائهم إلا الفتات والنفاية.

وتكمن السخرية – هنا – في البيت الأخير وسابقه، حين يصور الشاعر الفوارق الطبقية في المجتمع المصري بالنار المتوهجة، ويصور فقراء المجتمع بالحطب ، وسرعان ما تنقض النار على هذا الحطب، فلا تبقي منه ولا تذر!

كما يبرز الشاعر في لوحة أخرى صورة للأغنياء المترفين المتنعمين في طول البلاد وعرضها، مع أن المجتمع واحد، والقانون واحد... ولكنها الطبقية التي لا ترحم ضعيفا لضعفه، ولا مريضا لمرضه!

٢. الفقر ومظاهره:

الفقر مرض اجتماعي خطير، فمجرد ذكر كلمة الفقر يترتب عليه شعور الإنسان بالقلق والخوف ؛ لأن الفقر يعني الحاجة، وأصحاب الحاجات – على الدوام – ضعفاء مهما كانت قوتهم في جوانب أخرى في حياتهم.

وانطلاقا من هذه الرؤية، نجد الإسلام يحث أبناءه على أن يكونوا أقوياء في إيمانهم وفي أمور حياتهم المادية، ولعل في دعاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) : **"اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى"** [1] ما يوضح ذلك ويؤكده ، ففي طلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) للغنى – وهو قدوة الزهاد في الدنيا – دلالة بعيدة الأثر في هذا المقام.

وتفشي الفقر في مجتمع من المجتمعات – بعد ذلك – دليل قوي على سوء الحالة الاقتصادية في هذا المجتمع، وعلى اختلال موازين العدل فيه.

١- صحيح مسلم، بشرح النووي، ج١٧/٩/ ٢٨، ٢٩، دار الريان للتراث ١٩٨٧م.

وقد تحدثنا- قبل ذلك- عن الفوارق الطبقية الموجودة في المجتمع، والتي يعد الفقر نتاجا مرا لها.

ولعل هذا مما دفع شعراء مصر في القرن العشرين، إلى أن يقفوا موقف الرفض والتصدى لهذا المرض الخطير، الذي يتفشى يوما بعد يوم في المجتمع المصري.

*يقول الشاعر **"عبد الحميد الديب"** ساخرا من شراسة الفقر التي اجتاحت الفقراء من أبناء المجتمع المصري[1]:

عادت سنون ابن يعقوب ودولته ... وآدنا المحل لا ماء ولا شجر[2]

نرعى الهشيم بوادينا على سغب ... واليانع النضر يرعى الشابع البطر[3]

وكم سحاب رجوناه ليمطرنا ... فجاءنا من نداه الجمر والشرر

حتى الرغيف فقدناه..ولا عجب ... فنحن في أمة أيامها عبر

في الحرب والسلم نشكو ليس ينجدنا ... إلا خبيث يردينا ويعتذر!!

أجنة الخلد في مصر مصوحة ... والنار في غيرها للخير مدخر[4]

يسخر الشاعر "عبد الحميد الديب" في هذه الأبيات من اشتداد وطأة الفقر على بعض أبناء المجتمع ، فقد التهم الفقر كل أخضر ويابس، وفقد الناس في ظلاله كل شئ حتى عز رغيف الخبز على طالبه.

وتبدو السخرية هنا: في وصف سنوات الفقر التي عمت المجتمع المصري في القرن العشرين ، بأنها كالسبع العجاف التي أرهقت البلاد على عهد سيدنا يوسف عليه السلام.

١- الشاعر البائس عبد الحميد الديب/٢٢ .
٢- آدنا المحل: أثقلنا حتى انحنت ظهورنا. والمحل: هو الجدب.
٣- الهشيم : المتكسر من كل شئ.
٤- مصوحة : يابسة مجدبة والأبيات من بحر البسيط التام.

وفي تعبير الشاعر بالفعل (نرعى) سخرية لاذعة، إذ الرعي من شأن السوام، لا من شأن الإنسان ولكن حالة الفقر والسغب جعلت الشاعر يبالغ في المعنى على هذا النحو المذكور، ويؤكد هذا المعنى ذكر **"الهشيم، والوادى، والسغب"** بعد ذلك.

كما تبدو السخرية الفجة في تصريح الشاعر بافتقار قطاع كبير من أبناء المجتمع المصري لرغيف الخبز، ومطلب توفير رغيف الخبز للمواطن أصدق مطلوب وأعز موجود.

والتعبير بالفعل (فقدناه) يدل على المصداقية، وعلى ما يترتب على افتقاد رغيف العيش والخبز بالنسبة للمواطن الفقير – من فجيعة فادحة.

- ويقول الشاعر **"محمود غنيم"** ساخرا من شراسة الفقر التي أفقدت العيد قيمته وبهجته[1]:

أيها العيد ،هل ترى ... كيف ضاقت بنا الحيل ؟
فتش المدن والقرى ... هل ترى الناس في جذل؟
هل ترى طفلا احتفى ... هل ترى كهلا احتفل؟
أيها الزائر اختصر ... وفارق على عجل
أقفر البيت، واختفى ... شبح السمن والعسل
وخلا البيت ، فالذي ... معه درهم بطل[2]

يسخر الشاعر **"محمود غنيم"** في هذه الأبيات من أشباح الفقر التي أفقدت كل شئ في حياة الناس حلاوته ولذته.

فهو يجرد من العيد شخصا يخاطبه، ويشكو إليه من الفقر الذي أسلم الناس إلى حالة من اليأس والإحباط، ورسم بيده ملامح الحزن والكآبة على المدن والقرى واغتصب البسمة، وقتل الحلم في قلوب الأطفال والكهول.

١- الأعمال الكاملة ج١/٢٥٥ .
٢- الأبيات من مجزوء الخفيف.

وتبدو السخرية في البيت الأخير : حين يصف الشاعر البيوت بالخواء، والخلو من كل مظاهر المعيشة، مما يلمح إلى قلة ذات اليد، وافتقاد الناس حتى لأقل الأشياء في حياتهم.

وفي تعبير الشاعر **"فالذي معه درهم بطل"** ما يؤكد هذه المعاني، فالمال عصب الحياة وسر الحركة فيها.

وتدل السخرية -هنا - على تدهور الحالة الاقتصادية بالنسبة للفرد والمجتمع ومع فساد الحالة الاقتصادية تتردى كل جوانب الحياة، وأول من يصاب بالضرر الفادح هم أصحاب الدخل المحدود من أبناء المجتمع، مثل طبقة الموظفين في أجهزة الدولة.

- يقول الشاعر **"على الجندي"** ساخرا من أشباح الفقر التي خيمت على طبقة الموظفين في مصر[1]:

كيف يرقى بالنشء قائد نشء ... ليس في "العير" منكم و"الفقير"؟[2]

يحسب الناس أنه من ذوي الوفـ (م) ر ... وما في يديه شروى نقير[3]

يلبس الليل ظلمتين : فمن هم كقطع الدجى ... ومن ديجور

ويلاقي الصباح -والصبح سلوى ... بفؤد دام، وطرف حسير[4]

بين درس يلقي وتحضير درس ... فهو رهن الإلقاء والتحضير

مات وهو الحياة في كل نفس ... والمعنى الشقي كالمقبور

يسخر الشاعر **"الجندي"** في هذا النص من شبح الفقر والفاقة الذي حل بطبقة المعلمين في مصر - وهو واحد منهم - فجعلت قدرهم صغيرا، وشأنهم في المجتمع حقيرا، كما جعلت نظرات الاحتقار والشفقة تتسلل إليهم من أعين الآخرين.

١- ديوان ألحان الأصيل/٣٠٥، "الخفيف التام" .
٢- ليس في العير ولا في النفير: مثل يضرب للرجل الصغير القدر المستهان به.
٣- ما في يديه شروى نقير: مثل يضرب للإنسان المعدم.
٤- طرف حسير : كليل.

وتبدو السخرية هنا في هذا التساؤل الساخر الذي يطرحه الشاعر في بيته الأول وهو "كيف يرقي بالنشء معلم فقد كل المشجعات والبواعث التي تستفز إلى الإخلاص في العمل"، فهذا المعلم يشقي بين تحضير الدرس وبين إلقائها، مع ما يتكبده أحيانا – من السفر الشاق إلى مكان عمله ، ثم أنه لا يلقي في النهاية ما يكافئ هذا العمل من الأجر فجدير به إذن أن يهمل في عمله ٠

وهذا السؤال الساخر يفجر – هنا – قضية من أخطر القضايا، وهي قضية الاهتمام بمعلمي النشء والارتقاء بمستواهم الفكري والمادى٠

*ويقول الشاعر **"محمود غنيم"** ساخرا من ضيق العيش، وشظف الحياة الذي يعانى منه معلمو النشء[1]:

ولى راتب كالماء تحويه راحتى ... فيفلت من بين الأصابع هاربا

إذا استأذن الشهر التفت فلم أجد ... إلى جانبي إلا غريما مطالبا

فأمسيت أرجو نعيه يوم وضعه ... وليس الذي يمضي من العمر آيبا

لعمرك ما فوق المكاتب راحة ... ولا تحتها كنز يدر المكاسبا

قضيت حياتي بين دارى ومكتبي ... فألفيت وجه العيش أصفر شاحبا

تشابهت الأيام عندي كأنما ... مضي العمر يوما واحدا متعاقبا

يسخر الشاعر– هنا –من ضآلة الراتب الذي يحصل عليه معلم النشء من عمله في الدولة .. فهذا الراتب ما يكاد يصل إلى يده حتى يفلت ويتساقط من بين أصابعه هاربا إلى مستحقيه ممن لهم دين عنده حتى ينفد ، ثم ينظر هذا المعلم فلا يجد حوله إلا طابورا من الغارمين يطالبونه بقضاء ما عليه٠

١- الأعمال الكاملة/ ٢٤١ "بحر الطويل"٠

كما يسخر من مظاهر الحياة التي انطفأ بها كل معنى جميل، وتحولت كلها إلى صفرة وشحوب حتى تشابهت الأيام، فكأنها-لما بينها من قوة الشبه- يوم واحد متعاقب.

والسخرية- هنا – تدل دلالة واضحة على الركود والخمود الذي أصاب الحالة الاقتصادية في البلاد، مما ترتب عليه وجود ظاهرة الفقر التي كان لها أثرها البالغ في حياة الفرد والمجتمع.

والسخرية هنا توجه إلى وجوب النظر في أمر الشعوب التي افترسها الفقر، وحول حياتها إلى هم دائم ، وقلق مقيم.

*ولم تقتصر آثار الفقر على الوضع السئ للمعلمين فحسب، بل امتدت واتسع نطاقها حتى شملت أغلب الموظفين في سلك الدولة أيضا.

يقول الشاعر **"على الجندى"** ساخرا من الوضع السئ لطبقة الموظفين في مصر، وذلك من قصيدته **"البر، والنقد"**[1] :

وارحمتا لابن الحكومة إنه ... يعيش شقي النفس في جنة الخلد

لقد وضعت أوزارها وهو لم يزل ... كما كان إلف البؤس والهم والسهد

تألب فلاح عليه وتاجر ... فلم يتركا فيه سوى العظم والجلد

سنون كأحداق المها في سوادها ... حيينا بها بين الأساود ،والأسد[2]

لقد عشت دهرا أزهد الناس في الغنى ... ألا فاشهدوا أني برئت من الزهد

فالشاعر- هنا – يسخر من سوء الوضع العام للموظف المصري الذي يعيش حياته شقيا محروما ، وهو في بلده مصر التي تشبه جنة الخلد في وفرة خيراتها وتعدد مباهجها وما حدث له ذلك إلا حين تألب عليه الفلاح، والتاجر؛ ظنا منهما أنه ينام على كنز ثمين ، بينما الواقع يشهد أنه يحيا حياة كأنها الجحيم.

١- ألحان الأصيل/٣١٣ ، "بحر الطويل".

٢- المها: جمع مهاة: وهي البقرة الوحشية . والأساود: عظام الحيات، جمع أسود.

والبيت الأخير في هذا النص يعطي صورة لشكل الحياةالتي عاشها الموظف المصري في ظل سياسة اقتصادية فاسدة، إنها حياة معتمة حالكة السواد كعيون المها ماتت فيها كل بواعث النهضة والرغبة في التغيير نحو الأفضل.

وتبعا لهذا الحرمان المادي الذي عانت منه طبقة الموظفين في الدولة، عاد ذلك بالأثر السئ على جماهير المجتمع، فقد أضفي بعض هؤلاء الموظفين على أنفسهم هالة من القداسة المزيفة ، وتكاسلوا في قضاء مصالح الناس وعطلوها؛ انتقاما لأنفسهم من دولة ترهقهم بالأعمال، ولا تعطيهم من الأجر ما يسايرون به ظروف حياتهم.

*يقول الشاعر **"محمود غنيم"** ساخرا من هذه الحال[1]:

دواوين شيدت للكرى والتثاؤب ... لحا الله أصناما وراء المكاتب

إذا أمهم ذو حاجة لقضائها ... فأقرب منها نيل بعض الكواكب

هنا الوقت يمضي بين لهو وغفلة ... وتسويف مطلوب وإلحاح طالب

وكم سلمت أجسامهم فتمارضوا ... وراغوا من الأعمال روغ الثعالب[2]

وكم رمى الحر الكريم لديهمو ... بغلظة ساع، أو فظاظة حاجب

نعام إذا هم أبصروا رؤساءهم ... سباع على الجمهور حمر المخالب

وما حلموا في النوم إلا برتبة ... تساق إليهم أو زيادة راتب

ومن زر منهم كاتبا خال أنه ... بحضرة شاه لا بحضرة كاتب

إذا خاطب الزوار صعر خده ... وأوما برأس أو أشار بحاجب[3]

ولو فتشوا عما حوته جيوبه ... لما اغتر مغتر بتلك المناصب

١- الأعمال الكاملة ج١/٢٧٨ . "البحر الطويل".
٢- راغوا: مالوا وحادوا .
٣- صعر خده: أماله كبرا.

يسخر الشاعر- هنا- من موظفي الدولة الذين شعروا بالظلم الواقع عليهم من قبل الدولة فراحوا ينتقمون لأنفسهم من الجمهور، وذلك عن طريق مماطلته ، فيما يريد وتضييع أوقات العمل في اللهو، والغفلة، وتسويف أصحاب الحاجات، وعدم قضاء حوائجهم.

ناهيك بالتمارض الذي يدعيه كثير من الموظفين؛ هروبا من الأعمال، وإخلادا إلى الراحة والدعة، وإذا أدى الواحد منهم عمله، أداه وهو في حالة من الكبر والبطر والأنفة فهو يؤمي برأسه ، ويشير بحاجبه لأصحاب الحاجات ، بخلا عليهم حتى بمجرد الكلام.

وتكشف السخرية – هنا – عن جو التلون والتغير السريع لهؤلاء الموظفين، فهم نعام وادعة أمام رؤسائهم ، بينما هم سباع حمر المخالب أمام جمهور الناس .

كما تكشف عن انحطاط الهمة وضآلة الأحلام لدى هؤلاء الموظفين ، فهم لا يحلمون – إذا حلموا – في نومهم إلا بترقية جديدة، أو زيادة في الراتب تساق إليهم.

وتبلغ السخرية – في البيت الأخير – مداها، حين يكشف الشاعر الستار عن هذا الموظف، فيعلن فقره، وخلو جيبه من المال.

وفقدان المال هو العر والضر، ونكد الدنيا على الحر، والمستضعف من الناس من ليس له منه قدرة كما يقول شوقي[1].

٣. غلاء الأسعار:

الغلاء ظاهرة اجتماعية خطيرة ، لها آثارها العميقة على حياة الفرد والجماعة فما من مجتمع تتفشى فيه هذه الظاهرة، إلا وألبست أهله ثياب الخوف والقلق، وخاصة حين تتجه أمواج الغلاء إلى الطعام الذي لا غنى للإنسان عنه في كل يوم.

فـ**"المجتمعات التي تعيش مهددة بسبب أي ظروف، هي مثل الحقل النباتي الذي يتهدد نباته بالانجراف أو العطش أو الحرق أو الذبول أو اليبس، فالحديقة المزهرة أو الحقل المزهر هو الذي تنمو نباتاته نموا طبيعيا وتزهر وتلقح وتستقر.. وكذلك المجتمع الإنساني**"[2] .

١- أسواق الذهب/٧٢، ٧٣، بتصرف.

٢- الكتاب الأخضر، معمر القذافي،/١٢٨، ١٢٩، بتصرف يسير.

وقد عاني المجتمع المصري من تتابع موجات الغلاء التي أرهقت ظهور أبنائه في بعض العصور التاريخية، وقد ظهر ذلك بوضوح في القرن العشرين في فترة الاحتلال وما بعدها، وكان لذلك أسباب كثيرة، نعتقد أن منها: سوء الحالة الاقتصادية في البلاد وانخفاض مستوى دخل الفرد، والتلاعب في أسعار السلع عن طريق الوزارات المتلاحقة مما ألحق أضرارا بالغة بالكبير وبالصغير على السواء.

وقد وقف شعراء مصر في القرن العشرين – من ظاهرة الغلاء – موقفا مناهضا وسخروا من الاتجار في أقوات الشعب المكدود.

*يقول **"حافظ إبراهيم"** ساخرا من موجة الغلاء الفاحش التي جعلت الفقراء يتمنون الصيام[1]:

أيها المصلحون ، ضاق بنا العيش (م) ... ولم تحسنوا عليه القياما
عزت السلعة الذليلة حتى ... بات مسح الحذاء خطبا حساما
وغدا القوت في يد الناس كاليا (م) ... قوت حتى نوى الفقير الصياما
ويخال الرغيف في البعد بدرا ... ويظن اللحوم صيدا حراما
إن أصاب الرغيف من بعد كد ... صاح:من لي بأن أصيب الإداما
أيها المصلحون رفقا بقوم ... قيد العجز شيخهم والغلاما
وأغيثوا من الغلاء نفوسا ... قد تمنت مع الغلاء الحماما[2]

يسخر **"حافظ"** في هذه الأبيات من موجة الغلاء الفاحش التي لحقت الفقراء في المجتمع المصري فأرهقتهم، وجعلتهم يتمنون الموت.

والنص كله يفيض بروح السخرية والتذمر من هذا الغلاء، ويبدو ذلك في:أن السلعة الرخيصة قد اختفت من الأسواق في المجتمع المصري، وعز الحصول عليها

١- ديوان حافظ إبراهيم/٣١٦، ٣١٧ .
٢- الأبيات من بحر الخفيف التام.

حتى أصبح مسح الحذاء – الذي هو مثال للحقارة والتفاهة- يمثل عبئا ثقيلا، وخطبا فادحا على صاحبه!

كما أن ارتفاع أسعار السلع المتوفرة، جعلها كالياقوت بالنسبة للفقير، بسبب أنه لا يجد من المال ما يسد به سغبه منها، مما جعله ينوى الصيام؛ ويماطل دواعى الجوع في داخله!

وتتجسد السخرية- هنا- من خلال استغلال أحد عناصر التخييل والإيهام، وهو الجناس الواقع بين كلمتي (القوت، والياقوت) في البيت الثالث، حيث يخيل الجناس إلى المتلقي لأول وهلة أن اللفظين بمعنى واحد، فإذا تنبه إلى ما بينهما من فرق بعد هنيهة كان لهذه الانتباهة أثرها الواضح في قوة السخرية.

ويقول الشاعر "**محمود غنيم**" ساخرا من شراسة الغلاء التي ألحقت الأضرار الجسيمة بصغار الموظفين فى الدولة فأنهكتهم، وذلك من قصيدته "**الكادر**" سنة ١٩٣٩م[١]:

ويـــح مـــصر، أرى الموظـــف فيهـــا ... حمـــل العـــبء وحـــده فأطاقـــا

قـــترؤا جهـــدهم عليـــه ، وقالـــوا : ... لا تكـــن ناهـــبا ولا ســـراقا[٢]

مـــن ينجيـــه مـــن بـــنين صغـــار ... وبنـــات يـــسألنه الإنفاقـــا

أيهـــا البـــائس المعذب،رحمـــا ـــك! ... دع الخلـــق واســـأل الخلاقـــا

لا تخـــط للثيـــاب – ويحـــك- جيبـــا ... والـــزم البيـــت،واهجر الأســـواقا

وإذا جعت فامضغ الصبر ما أحـ (م) ـلاه ... في ذلـــك الزمـــان مـــذاقا!

مـــا لكـــم والثيـــاب ؟ إن أباكـــم (م) ... آدمـــا كـــان يلبـــس الأوراقـــا!

١- الأعمال الكاملة ج١/٢٤٤ . "بحر الخفيف التام".

٢- أرى أن كلمة (جهدهم) الواردة في البيت غير دقيقة، والأدق منها – في نظرى-: أجرهم، والوزن معها لا يختل.

يسخر الشاعر- هنا – من فداحة الفقر التي لحقت صغار الموظفين في الدولة بسبب غلاء الأسعار من جهة، وبسبب تقتير الدولة في أجور العاملين بها من جهة أخرى مما لم يجعل هناك توازنا بين الإيرادات والمصروفات لدى الفرد، وهذا أمر بالغ الخطورة؛ لأنه يشجع صغار الموظفين على النهب والسرقة، واقتناص الفرصة كلما سنحت لهم؛ سدا لحاجتهم وحاجة أولادهم.

وتكمن السخرية اللاذعة في البيت الخامس حين ينصح الشاعر سامعه ألا يخيط للثياب جيبا، وأن يلزم بيته، وأف يهجر الأسواق فلا يغشاها، ومدلول هذه الأمور: أن خلو الجيب من المال، يلزم منه منع الإنسان من الحركة هنا أو هناك، كما يلزم منه عدم غشيان الأسواق، لأن نزولها يحتاج إلى مال، وهو غير موجود، والمستضعف – كما يقول شوقي – من ليس له من المال قدرة، والعريان من ليس له من سترة[1].

كما تكمن السخرية – في البيت السادس – في طلب الشاعر من سامعه أن يمضغ "الصبر" إذا أحس بألم الجوع، فهو حلو المذاق – ولاسيما – في هذا الزمان !

وهذه سخرية لاذعة من اشتداد الفقر والمسغبة مع افتقاد المغيث والمعين في زمن تبلدت فيه الأحاسيس، وماتت فيه المشاعر النبيلة تجاه المعوزين .

وتكمن السخرية – أيضا –في البيت الأخير، حين يطلب الشاعر من الناس على سبيل السخرية، أن يطرحوا عنهم فكرة الثياب، وكيف لا، وأبوهم آدم كان لا يلبس ثيابا وإنما كان يلبس الأوراق، وكأنه يطلب منهم أن يفعلوا فعل أبيهم آدم.. وهذه سخرية مؤلمة تصرخ في وجه أشباح الفقر والغلاء التي سلبت الناس الأمن والسعادة، وجرعتهم غصص الخوف والشقاء!!

*وقد ترتب على استشراء الغلاء في المجتمع المصري: هضم كبار الموظفين في الدولة، حتى حلت لهم الزكاة.

١- أسواق الذهب/٧٣ بتصرف.

يقول الشاعر "**غنيم**" من قصيدته "**زكاة الفطر**"[1] :

قال لي اليوم بائسون عفاة اعطنا قلت: إن أصبتم فهاتوا
ثقلت وطأة الغلاء، فحلت لكبار الموظفين الزكاة
لا ترومو الزكاة منا احتسابا نحن لا أنتم - الجياع العراة

يسخر الشاعر- في هذه الأبيات - من اشتداد وطأة الغلاء، وخاصة على طبقة الموظفين في الدولة، فهؤلاء قد ضاقت عليهم الحال، واشتدت بهم الفاقة، حتى لقد حل لهم أخذ الزكاة.

وطريق السخرية- هنا - هو أن الشاعر قد سلك - مع الذين يسألونه العطاء من الفقراء- طريق القلب والعكس.

ومكمن السخرية - هنا - في أن الشاعر طلب العطاء ممن يسألونه العطاء من الفقراء، وبذلك يكون قد قلب الحكم وعكسه عليهم، فأصبح طالب الحاجة - الفقراء - مطلوبا، والمطلوب - كبار الموظفين في الدولة - طالبا لها، وبتعبير آخر: أصبح المسئول سائلا، والسائل مسئولا !!

وهذه سخرية لاذعة، تكشف عن سوء حالة الموظفين في الدولة تحت وطأة الغلاء والفقر.

*ومع ارتفاع الأسعار، وغلاء السلع تقل قيمة النقد وتتدهور، ويصبح الكثير منها قليلا، لا يسد حاجة، ولا يفي بمطلوب.

يقول الشاعر "**على الجندى**" ساخرا من هذه الظاهرة[2]:

أضحى الجنيه على جلالة قدره في سوقنا قرشا لدى النقاد
قد كان قبل اليوم يمشى ربه وكأنه فرعون ذو الأوتاد

١- الأعمال الكاملة ج١/ ٢٤٧ . "بحر الخفيف التام".
٢- أغاريد السحر/٢٦٣ . "بحر الكامل التام".

واليـــوم يحملـــه فيخطـــو مثقـــلا ... بـــالهم يـــصبغ وجهـــه بـــسواد

لا نبتغـــي عـــيش النعـــيم وإنمـــا ... نرضـــي مـــن الـــدنيا يـــسير الـــزاد

يسخر الشاعر-هنا- من غلاء الأسعار بصورة أفقدت النقود قيمتها، فقد أصبح الجنيه- على جلالة قدره،وماله من صولة وسلطان- كالقرش في الأسواق.

ثم يعقد الشاعر موازنة بين الجنيه في الماضي والجنيه في هذه الأيام، ففي الماضي كان صاحبه يمشي متبخترً مختالا، وكأنه واحد من الملوك، أما اليوم فقد ضاعت هيبته وأصبح صاحبه يمشي مثقلا منزويا يعلو وجهه السواد ويتوارى من الناس من ضآلة ما يحمل.

والسخرية – هنا – تدل على إهمال الدولة لاقتصاد الفرد، وانعدام المواكبة فيه بين الأسعار والأجور.

ومن الآثار الجانبية المترتبة على تفشي موجة الغلاء: التلاعب، وسوء المنتج ورداءة شكله.

يقول الشاعر **"عبد الحميد الديب"** ساخرا من هذه الظاهرة الخطيرة[1]:

صـــغر الرغيـــف كأنمـــا هـــو قطعـــة ... مـــن قلـــب تـــاجر، وجـــلد البـــائع

هـــل صـــار وهمـــا أم خيـــالا؟ إنـــه ... قـــد عـــاد غـــير مؤمـــل أو نـــافع[2]

لـــو كـــان سمـــا مـــا تخـــرم آكـــلا ... أو كـــان ذا أثـــر بوجـــه البـــائع!

قـــد كـــان شـــيخا للطعـــام فمالـــه ... قـــد صـــار شـــبه وليـــد شـــهر ســـابع!!

"جوعـــوا تـــصحوا" واذكروهـــا حكمـــة ... فالمجـــد لم يكتـــب لغـــير الجـــائع[3]

١- الشاعر البائس عبد الحميد الديب/٢١ ، "الكامل التام".

٢- الأدق أن يقال: هل صار وهما أو خيالا؟ ؛ لأن (هل) تأتي معها (أو) وليس (أم) في هذا الأسلوب وأمثاله (انظر: مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، بحاشية الشيخ محمد الأمير، الجزء الثاني/٢٨، طبعة دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي)

٣- ثلاث عقبات في الطريق إلى المجد، أ. جمال الدين/٦٣، دار الطباعة والنشر الإسلامية – القاهرة ١٩٤٥م.

يسخر الشاعر **"الديب"** في هذه الأبيات من صغر حجم رغيف الخبز على عهد إحدى الوزارات عام ١٩٤١م، والشاعر- في هذا النص – يقدم لنا صورة حية لهذا الضرر الذي لحق الناس بسبب هذا التلاعب،وهي في الحقيقة صرخة معبرة عن آلام الشعب وحرمانه الذي اكتوى به آلاف من الشعب المصري حينذاك.

وتكمن السخرية هنا: في تشبيه الشاعر رغيف الخبز بأنه قطعة من قلب التاجر أو جلد البائع، وهي صورة مزرية تصور هذا البائع بأنه لا يعطي للناس خبزا، وإنما يعطيهم قطعا من قلبه، وهذا يناسب صغر حجم الرغيف، كما أنه يناسب البخل به على الناس.

كما تكمن السخرية أيضا: في وصف رغيف الخبز بأنه لو كان سما، لما مات آكله؛ وذلك لضآلته، وصغر حجمه.

كما تكمن السخرية اللاذعة في تشبيه رغيف الخبز الناقص، بالمولود الذي يولد في شهره السابع، بجامع النقص في كل منهما.

ثم يختم الشاعر كلامه بسخرية أخرى لاذعة، حين ينصح قومه بالجوع طلبا لصحة الأبدان، كما يوضح لهم أنه لا يصل إلى إحراز المجد منهم إلا أصحاب البطون الطاوية.

ولعل مكمن قوة السخرية في هذا النص يكمن في هذه المبالغة التي اتخذها الشاعر سلاحا يكشف به عيوب المجتمع، فهذا الرغيف الذي هو قطعة من قلب تاجر، وهذا الرغيف الذي لو كان سما ما كان ذا أثر في آكله.. كل ذلك يحمل لونا من الغضب على المجتمع.

والسخرية تكشف هنا كما يترتب على ارتفاع الأسعار من تلاعب،ورداءة في المنتج.

٤.الجهل والأمية الفكرية:

الجهل داء الأمم والشعوب، والمجتمع الذي يتفشى فيه الجهل، مجتمع مصاب بالعقم والتخلف الحضاري، وقد يكون هذا الجهل ليس عن عدم معرفة بأصول القراءة والكتابة، ولكن يكون عن تخلف وأمية فكرية، وعدم مسايرة لروح العصر الذي يعيشه هذا المجتمع.

إذن فـ"نحن نقصد بالجهل معنى أكبر عادة مما يفهم من الدلالة المجردة للكلمة فهو لا يقتصر على الناحية السلبية، وإنما يشمل الفوضى الإيجابية العلمية، التي صارت من الخطر بحيث عاقت تقدمنا أكثر مما عاقه الجهل نفسه"[١] .

لذا "فالقضاء على الجهل ومحو الأمية ومضاعفة الجهود لخدمة العلم والثقافة الإسلامية، لمن أهم ما ينبغي على المسلمين أن يوجهوا إليه عناياتهم.. وقد أولى الإسلام عنايته الكبرى واهتمامه البالغ بالعلم والثقافة ومحاربة الجهل والأمية" [٢].

وما ذلك إلا لأن "الأمية وصمة عار يمثل وجودها تعطيلا لجهود التنمية ، فالأمية تعني الجهل وانتشار الخرافات والأوهام، كما تعني سوقا رائجة للدجل والشعوذات، وهذا معناه المزيد من التخلف والتعصب والجمود والانغلاق" [٣].

والجهل والأمية بناء على ذلك يمثلان نوعا من الظلم الاجتماعي الذي يتعرض له شعب من الشعوب أو أمة من الأمم.

وقد تفشت بعض مظاهر الجهل والأمية الفكرية في المجتمع المصري في بعض فترات التاريخ، ولاسيما في عهد الاحتلال الذي جعل الأمور تضطرب، والموازين تختل والقيم تنهار، وسلب الإنسان المصري ذاتيته، وجعله كالريشة المعلقة في مهب الرياح.

وقد دفعت هذه العوامل الشعراء المصريين إلى التصدى لخطر الجهل والأمية الفكرية بكل الطرق، يقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من تفشى الجهل والأمية الفكرية في المجتمع المصرى [٤]:

فـيم الفخـار إذا الـشعوب تفاضـلت ... أبذلـه تـزرى وجهـل قاتـل؟!

لا تـذكروا مـا شـيدت أسلافكـم ... مـن كـل صـرح كاليفـاع الماثـل[٥]

١- ثلاث عقبات فى الطريق إلى المجد /٦٣، دار الطباعة و النشر الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٥.
٢-مجلة المجاهد، عدد صفر ١٤١٤هـ/١٧، من مقال بعنوان: "محاربة الإسلام للجهل والأمية" للدكتور أحمد عمر هاشم . بتصرف يسير.
٣- قيم منسية /٤٦ .
٤- ديوان أحمد الزين/٣٢ "بحر الكامل التام" .
٥- اليفاع: التل.

لــولا جهــود الغــرب حجــب علمهــا وتــشابه المــسئول فيــه بــسائل

يسخر الشاعر **"أحمد الزين"** في هذه الأبيات من جهل الشعب المصري وتخلفه الفكري، دون إبداء أية محاولة للنهوض، والخروج من دائرة التأخر والتخلف.

وتكمن السخرية هنا: في تساؤل الشاعر عن أوجه المفاخرة والمفاضلة بين الشعوب إذا أرادت أن تتفاخر،كما يذكر أنه ليس عندنا من ملامح النبوغ التي يمكن أن نتفاخر بها إلا الذلة المزرية، والجهل القاتل.

كما تكمن السخرية – أيضا- في البيت الأخير، حين يذكر الشاعر المصريين بأن هذه الصروح الماثلة التي صنعها الآباء، ونتفاخر نحن بها اليوم، ليس لنا من فضل في اكتشافها، وإزالة الغبار عنها، فلولا جهود أبناء الغرب لحجب علمها عنا، وظللنا في جهلنا سادرين .

وهذه سخرية لاذعة وموجعة، ترمى المصريين بالجهل والتخلف، والعيش على فتات الآخرين.

* وهذا أمير الشعراء **"أحمد شوقي"** يسخر من جهل المصريين وتخلفهم الصناعي فيقول[1]:

تجــد الــذين بــني المــسلة جــدهم لا يحــــسنون لإبــــرة تــــشكيلا

الجهــــل لا تحيــــا عليــــه جماعــــة كيــف الحيــاة علــى يــدى عــزرايلا

مــــا كــــان دنلــــوب ولا تعليمــــه عنــد الــشدائد يغنيــان فتيــلا

يسخر **"شوقي"** من تخلف المصريين وجهلهم – في مجال الصناعة – حتى في أتفه الأشياء، فجدودهم قد سجل لهم التاريخ آيات من المجد والفخار، بينما هم لا يحسنون صنع "الإبرة" التي تحاك بها الثياب وإنما ألفوا استيرادها من الخارج كما تظهر سخرية **"شوقي"** من الحياة مع مصاحبة الجهل، حين يشبهها بالحياة بين يدي عزرائيل"، وفي ذلك من التنفير والتقبيح، والدعوة إلى تغيير الواقع المؤلم ما فيه.

١- الشوقيات، المجلد الأول، الجزء الأول/١٨٢ . "بحر الكامل التام".

فالجهل والأمية الفكرية إذن من أشرس الأدواء التي يعاني منها المجتمع المصري ولذلك ينبغي بذل المزيد من الجهد للقضاء على هذه الظاهرة في مجتمعنا المصري، وبذلك نكون قد قضينا على أهم معوق من معوقات الوصول إلى المجد، والانطلاق نحو مزيد من التقدم الشامل في مجتمعنا.

٥. افتقاد العدل:

من مظاهر الظلم الاجتماعي التي تفشت في المجتمع المصري في القرن العشرين: افتقاد العدل، وضياع الحق، والعدل من القيم الإنسانية المهمة التي يعيش الإنسان على مددها، فحينما يشعر الإنسان بالعدالة تسود مجتمعه، ينعم بالسكينة والاستقرار، ويشغل نفسه بالبناء، والتعمير، وفعل الخير.

ولذا كان نداء بعض الكتاب: أن نروض أنفسنا وأممنا على العدل، وأن نبثه بين الأمم والأفراد، وأن نمرن الناس عليه، وأن نحارب الظلم والفساد، وأن نمرن الناس على كراهيته، ولا يقولن قائل: إن الظلم من شيم النفوس وطبائعها؛ لأن المرء يمكن أن يربي على القناعة والرضا، وعدم التطلع إلى ما زاد عن حاجته ، وحاجة من يعول[١].

ومع ذلك، فقد وجد الظلم والميل إلى الهوى في المجتمع المصري، وبات كثير من المظلومين والمهضومين ينعون حظهم، ويرثون العدل في مجتمعهم.

*يقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من الظلم الاجتماعي الذي أصاب بعض أفراد المجتمع نتيجة لافتقاد العدل فيه[٢]:

يـــا للعـــزائم يـــثني مـــن مواضـــيها ... أن الكفايـات يقـضي بـالهوى فيهـا

وللمواهـــــب بـــــالأغراض يقـــــتلها ... مـــن يـستمد حيـاة مـــن أياديهـــا

وللجهـــود بأعـــشى الـــرأى يطفئهـــا ... مـاض علـى ضـوئها سـار بهاديهـا

وللنوابـــــغ يقـــــضي في مواهبـــــهم ... بمـــا يـــشاء هـــواه غـــير قاضيهـــا

١- إنقاذ البشر، محمد عرفة/٧٣ ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٩٦٣م.
٢- ديوان أحمد الزين/١٤٠ ، "بحر البسيط التام".

يسخر الشاعر "**أحمد الزين**"- في هذه الأبيات- من الظلم الاجتماعي الذي يتجلى في افتقاد العدالة في المجتمع المصري، فقد تفشى فيه الحكم بالهوى، وأسندت الأمور إلى غير أصحابها الحقيقيين، فانثنت بذلك العزائم، وقتلت المواهب، وأطفئت الجهود ، وتحكم الجهلاء في النابغين وأصحاب المواهب.

وهذه أمور من شأنها أن تسلم الناس إلى اليأس، وتعطل جانب العمل والبناء في حياتهم.

وتتجسد السخرية في هذا النص من خلال هذا التناقض الغريب الذي تحمله الكلمات والعبارات.

*ويقول "**حافظ إبراهيم**" ساخرا من غياب العدل وضياع الحق في المجتمع[1]:

فيـــا أمـــة ضـــاق عـــن وصـــفها ... جنـــان المفـــوه والأخطـــب

تـــضيع الحقيقـــة مـــا بيننـــا ... ويـــصلى الـــبرئ مـــع المـــذنب

ويهـــضم فينـــا الإمـــام الحكـــيم ... ويكـــرم فينـــا الجهـــول الغـــبي

يسخر الشاعر من الأمة المصرية التي ضاعت فيها الحقائق، واختلط الحق فيها بالباطل ، وأصبح المذنب والبرئ فيها سواء، وأهين الأئمة الأجلاء، وأكرم الجهلاء الأغبياء.

والسخرية – هنا- تتجسد من خلال المواقف المختلفة التي تبرز روح التناقض في المجتمع المصري، فالبرئ والمذنب سواء، والعالم الفاضل مهان، والجاهل الغبي مكرم والتناقض في موازين المجتمع مرده إلى ذيول قيمة الحق والعدل بين الناس، وهو ما يدعو إلى السخرية والتهكم.

٦. تجاهل المشاعر الإنسانية تجاه الآخرين:

ينبغي أن تقوم العلاقة بين الأفراد في المجتمع على المحبة والعطف، وذلك بأن يكون هناك احترام متبادل، وشعور طيب بين الناس بعضهم وبعض.

١- ديوان حافظ إبراهيم/٢٥٩ . "بحر المتقارب التام".

ولكن نعرات ظهرت في المجتمعات تنادى بتفاوت الناس، وتفضيل بعضهم على بعض في الحقوق والمعاملات، وفي التقييم الإنساني، مما أشاع القسوة والغلظة في المجتمعات وجعل كل فرد يحاول أن يحصل على ما يريده دون أن يترك لغيره شيئا حتى ولو مات ذلك الإنسان.

وقد "نشأ عن هذا الوضع في العلاقات الإنسانية صراع بين من يملك، ومن لا يملك ونزاع بين الذين استولوا على كل ما حولهم من الخيرات، وبين المحرومين الذين لا يجدون ما يقتاتون به، مما جعل الهوة في العلاقات الاجتماعية سحيقة وعميقة ، لا تجد لها شطآن ترتكز عليها الصلات الأخوية بين الناس، ولا قرار تقف عليه دعائم المحبة والمودة بينهم؛ إذ لا توجههم إلا المنافع المادية، فلا يميلون إلا حيث ينعمون ماديا، ولا يأنسون إلا لمن يجنون من ورائه مكسبا يزيد من ثرواتهم، أو جاههم وسلطانهم، وبهذا ضاعت ملامح العلاقات الإنسانية، وتلاشت عاطفة الأخوة بين الناس، فأصبحت نفس الإنسان نهمة تلهث وراء المادة، وتجرى وراء الشهوات الجسدية، والملذات الجنسية حتى أصبح المجتمع البشري أشبه بغابة يتحكم فيها القوى، ويسود فيها كل من تجرد من المعاني السامية وتعرى من كل أردية الشرف والفضيلة" [1].

ومن هذا المنطلق، غابت المشاعر الإنسانية النبيلة تجاه الآخرين من أبناء المجتمع مما دفع شعراء مصر في القرن العشرين إلى السخرية والتهكم بهذا المسلك وبأصحابه مطالبين أن يكون أساس العلاقة بين أفراد المجتمع هو الحب والمساواة.

*يقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا من غياب المشاعر النبيلة، وتبلد حس الإنسان[2]:

أكثـــر الإنـــس لا تحـــس لديـــه ... مـــن صـــفات الإنـــسان إلا إهابـــه

حامـــل في أديمـــه نفـــس عجمـــا(م) ء ... وفي الـــشكل مـــشبه أضـــرابه

١- الأزهر، عدد رجب سنة ١٤١٩هـ/١٠٧١، من مقال بعنوان: "العلاقات الاجتماعية في الإسلام" للدكتور/محمد شامة.

٢- ديوان أحمد الزين/١٠ . "بحر الخفيف التام".

فالشاعر – في هذين البيتين – يسخر من تبلد الحس الإنساني بصورة فجة، حتى إنك لا تكاد ترى من صفات الإنسان إلا جلده الذي يعرف بأنه جلد إنسان، فكثير من الناس يحملون داخل جلودهم نفوس الحيوانات، وإن كانت أشكالهم ومناظرهم هي الشئ الوحيد الذي يلحقهم بعالم البشر.

وهذه سخرية مؤلمة تدل على مدى الجفوة التي ظهرت من الإنسان لأخيه الإنسان.

*ويقول الشاعر **"عبد الحميد الديب"** ساخرا من تجاهل بعض إخوانه لحاجته[1]:

أأرى ذئابـــا أم صحـــابا ؟ إنهـــم ... وجمـيعهم في الخطـب لم يتعطفـوا

وقفـوا كمـا وقـف الزمـان بمحنتـى ... لـدمى الـبرئ جميعـهم يـستنزف

أأعـيش بينهمـو شـقيا معدمـا ؟ ... وهمـو غنـى ناعـم وموظـف

يسخر **"الديب"** في هذه الأبيات – من أصحابه الذين يتجاهلون حاجته وفقره، ويغمضون أعينهم عنه في وقت محنته، فكانوا – بذلك- أعوانا للزمان في استنزافه وإرهاقه.

وتكمن السخرية – هنا – في أن أصحاب الشاعر قد بخلوا عليه، ولم يراعوا فيه حق الإنسانية، على الرغم من غناهم وتنعمهم بطيبات الحياة.

وهذا التشكك الذي بني الشاعر عليه سخريته في البيت الأول آلم وأوجع في السخرية من التقرير.

*ويقول الشاعر **"أحمد الزين"** ساخرا أيضا من إهمال بعض الجوانب الإنسانية في المجتمع المصري[2]:

ولكـم يـدعون عطفـا علـى البـؤ(م) س ... وبـاسـم الفقـير مـا يجمعونـه

ولكـم بـائس يـرى الجـوع منـه ... جـسدا لا تكـاد أن تـستبينـه

وعـضال الأسـقام أدواه حتـى ... لا تحـس الأسـاة إلا أنينـه

١- الشاعر البائس عبد الحميد الديب/٩٣ . "بحر الكامل التام".

٢- ديوان الزين/٤، ٥ . "بحر الخفيف التام".

كبقايا الجدران لم يدع الزلـ(م)ـزل ... منهـا إلا رسـوما حزينـه
راح يبغي على السقام معينا ... فأبت دور طبهم أن تعينه
طردوه عنها وقد شيدوها ... باسم عان قد أعوزه المعونة
وألوف الألوف تنفق فيها ... ولغير الإله ما ينفقونه
من طعام ومن دواء وطب ... لذوي الجاه والغنى يبذلونه
وليمت في البلاد كل فقير ... فهو كل عليهم ومؤونة

يسخر الشاعر **"أحمد الزين"** في هذا النص من تجاهل المشاعر الإنسانية النبيلة تجاه الآخرين.

ويذكر الشاعر لذلك مثالا حيا يعيش في المجتمع، فهذا بائس جائع، قد أهزله السغب، حتى إنك لا تكاد أن تتبينه – إذا نظرت إليه – لنحافته وضآلته وهزاله، ثم إن الأمراض قد افترسته وأذوته، حتى إن الأساة لا تسمع منه إلا أنينا ، فهو مثل بقايا جدران هجم عليها زلزال شرس، فلم يبق منها إلا رسوما حزينة تدل على ذكرى إنسان، وقد أغلقت في وجهه كل سبل العناية والرعاية، والخلاص مما خيم عليه من بؤس وحرمان.

ولعل مكن قوة السخرية – هنا- يبدو في هذه الصورة التي يقدمها هذا التناقض الفظيع الذي يحمله البيت الخامس والأبيات التي بعده، فهذه الأبيات تقدم صورة قاسية من صور إهمال المشاعر الإنسانية النبيلة تجاه الفقراء ، وهذا التناقض يتجلي حين ترفض دور الطب قبول الفقير الذي أعيته الأسقام، بينما هي تسارع إلى قبول المترفين من ذوي الجاه والسلطان.. وهو تصرف شاذ يدفع الأدباء إلى التصدي لهذا الذبول الإنساني عن طريق السخرية والتهكم.

* ويقول الشاعر **"عبد اللطيف النشار"** ساخرا- أيضا- من تجاهل كثير من الجوانب الإنسانية في المجتمع المصري، كإهمال أهل الريف وتركهم فريسة للأمراض الفتاكة وذلك من **قصيدته "اغسلوا الماء"** [1]:

١- ديوان عبد اللطيف النشار/٣٧٤ . "بحر الوافر التام".

تعـــــالوا نغـــــسل المـــــاء بـــــدمع العـــــين مـــــسجوما
أنبقـــــي العمـــــر في الريـــــف ضـــــحايا الإنكلـــــستوما
تعـــــالوا نغـــــسل المـــــاء
صـــــبرنا صـــــبر أيـــــوب علـــــى الأمـــــراض والعلـــــل
وهـــــذا المـــــورد المـــــوبى يـــــسد مطـــــالع الأمـــــل
تعـــــالوا نغـــــسل المـــــاء

يسخر الشاعر- في هذه الأبيات – من إهمال الدولة لتطهير ماء النيل مما أصابه من تلوث- حتى ولو كان ذلك بماء العين- ، مما جعله مصدر خطر وبلاء على حياة أهل الريف من المصريين.

وتكمن السخرية هنا: في نداء الشاعر الذي يتضمن المطالبة بغسل ماء النيل والماء لا يغسل، وهذه صورة طريفة تنطوى على سخرية مرة ولاذعة.

والشاعر يربط – هنا – بين ماء النيل والانكلستوما،والمشهور أن البلهارسيا هي التي تكمن في ماء النيل، وليست الانكلستوما، وإن كان كل منهما من الأمراض المتوطنة المنتشرة في الريف، والتي تفتك بالريفيين في ضراوة .

*ويقول الشاعر **"على الجارم"** ساخرا من تبلد المشاعر ، وغياب الضمير الإنساني في المجتمع المصري مما ترتب عليه إهمال العطف على الفقراء، وتركهم فريسة لشبح الفقر يقتلهم على مهل[1]:

أيهـــا الوادعـــون يمـــشون زهـــوا بـــين جبريـــة وبـــين اختيـــال[2]
ينفقـــون القنطـــار في تـــرف العـــيش (م) ولا يحـــــسنون بالمثقـــــال
ويـــرون الأمـــوال تنثـــر في اللهـــو (م) فـــــلا يجزعـــــون للأمـــــوال

١- ديوان الجارم، الجزء الأول/٧٩، ٨٠، ط/مطبعة فتح الله إلياس نورى وأولاده بمصر (بدون تاريخ).
٢- الوادعون: المترفون. والزهو: التيه والتكبر . والجبرية: نسبة إلى الجبر بمعنى الجبروت والعظمة.

إن في بلـــــدة المعـــــز جحـــــورا ... مترعـــات بـــأدمع الأطـــفال[1]

كـل جحـر بـالبؤس والفقـر مملـو (م) ء ... ولكنـــه مـــن الـــزاد خالـــي

بـسقت فيـه للجـراثيم أفنـــا (م) ن ... تـــدلت بكـــل داء عـــضال[2]

لـــو رأيـــت الأشـــباح مـــن ساكنيـــه ... لرأيـــت الأطـــلال في الأطـــلال!

يرهب النور أن يمر به مرا (م) وتخشى ... أذاه ريـــــح الـــــشمال!

تحسب الطفل فيه في كفن المو (م) ت ... وقـــد ضـــمه الـــرداء البالـــي

أيهـــا الأغنيـــاء أيـــن نداكـــم؟ ... بلـــغ الـــسيل عاليـــات القـــلال[3]

هذا النص يعد من أقوى النصوص التي صورت غياب المشاعر الإنسانية النبيلة تجاه المعوزين والفقراء – على حد علمي – والشاعر فيه يعطي صورا حقيقية لبؤس واقعي يعيش في أحضان المجتمع المصري ، حيث يتجرع المصابون به غصص الألم والمرار في كل لحظة.

والنص كله يفيض بروح السخرية، وهي تبدو في:. تصوير هذه الفئة المترفة التي تعيش في المجتمع المصري، وقد امتلأت نفوسهم بالتيه والتكبر، والجبروت والعظمة ثم هم ينفقون أموالهم ببذخ فاحش في المتع واللذات وأنواع اللهو والترف، ثم لا يجودون ولو بالحقير الضئيل من هذا المال لإشباع جائع ، أو كسوة عار، أو إعانة منكوب.

والسخرية هنا تكشف عن موت المشاعر الإنسانية النبيلة في نفوس هؤلاء الأثرياء وتجردهم من قيمة الرحمة، التي ينبغي أن تكون خلقا ثابتا ومتأصلا في النفس الإنسانية.

ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير حالة البؤس والشقاء التي يتجرعها الفقراء في بعض الأماكن في القاهرة، فيذكر أن بها أكواخا مظلمة يسكنها الفقراء، وهي مملوءة بدموع الأطفال لكثرة بكائهم وإعوالهم من ألم الجوع والفاقة، فقد امتلأت منازلهم بأشباح الفقر وخلت مما يحتاجون إليه من الزاد.

١- بلدة المعز: هي القاهرة، نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي الذي كانت ولايته سنة ٩٥٣م، وكان عصره من أزهى العصور، وقد توفى سنة ٩٧٤م.

٢- الأفنان: الفروع والأغصان ، واحدها: فنن.

٣- القلال: جمع قلة: وهي قمة الجبل. والأبيات من بحر الخفيف التام.

والشاعر يصور- على سبيل السخرية – هذه الأكواخ وقد انتشرت فيها الجراثيم واستقرت في تربتها، حتى نبتت وأصبحت أشجارا ذوات فروع عالية تدلت لا بالثمار ولكن بالأوبئة الفتاكة والأمراض المستعصية، حتى غدا سكانها- لكثرة ما نال الجوع والهزال من أجسامهم بين هذه الأكواخ المتهدمة- كأطلال تعيش في أطلال.

وترتفع نغمة السخرية – فوق هذا الحد – حين يجعل الشاعر النور والهواء لا يجرآن على المرور بهذه الأكواخ؛ خوفا ورعبا، أو أنه لما كانت هذه الأكواخ مملوءة بالأوبئة والأمراض، خشى النور والهواء أن يمرا بها.

ويصور الشاعر جزئية صغيرة أخرى من هذا البناء التصويري الكبير، وهي صورة "الطفل الفقير"، فقد صوره في هزاله وثيابه البالية، بالميت الذي انطوى عليه الكفن الخلق.

وهذه سخرية مؤلمة مما يعاني منه الفقراء والمحتاجون في المجتمع المصري في القرن العشرين، وهي تكشف – كما أشرت من قبل - إلى غياب المشاعر الإنسانية النبيلة تجاه الآخرين، وعدم الإحساس بهم.

وهو ما يعد مظهرا من مظاهر الضعف والنقص في مجتمعنا ، مما يتطلب علاجا ناجعا، وموقفا إيجابيا، وإهمال الجوانب الإنسانية في المجتمع، وعدم رعاية الفقراء فيه له آثاره السيئة، فقد تدفع حياة الضياع التي يعيشها هؤلاء إلى الانحراف والتمرد، وبذلك تكون أعمالهم إفرازا مرا لقلة الاهتمام، وغياب الإحساس بهم.

* ويقول الشاعر "**محمد مصطفى الماحي**" متباريا مع سابقه وساخرا من هذه الظاهرة، وذلك من قصيدته "**اليتامى**"[1] :

في مصر صرعى بكأس الهم لم يجدوا قوتا	فأصبحت الآثام همهم
لم يذنبوا غير أن البؤس طاردهم بويله	وطريد البؤس منهزم
يارب طفل ضئيل الجسم ناحله	أمضه المرهقان: الذل والسقم[2]

١- ديوان الماحي/١٧٦، ١٧٧ . "بحر البسيط التام"
٢- أمضه: آلمه.

تبينـــت مـــن خـــلال الثـــوب أضلعـــه ... فغـصنه ذابـل والـدمع منـسجم
يقـوده الجهـل أنـي شـاء رائـده إلى الـضلال ... وبـــئس المرتـــع الـــوخم[1]
يكـــاد يقـــضي الليـــالي طاويـــا ظمئـــا ... لـولا القمامـات ممـا يقـذف الخـدم
يطـــوى الليـــالي لا يحـــس بـــه ... كأنـه الطيـف أخفـت أمـره الظلـم
أو أنـــه حجـــر بـــالأرض مطـــرح ... فلـيس يـدرك حتـى تعثـر القـدم !
يـــا رحمـــة الله حلـــى حيثمـــا نزلـــوا ... فكـم دعونـا لـشكواهم فمـا رحمـوا

يسخر الشاعر – في هذا النص – من انطفاء مشاعر الحب والعطف على الفقراء واليتامى في المجتمع المصري، مما يترتب عليه كثير من الآثار الوخيمة، وازدياد نسبة الانحراف في المجتمع.

والشاعر – هنا – يعطى – على سبيل السخرية- صورا متلاحقة كلها تكشف النقاب عن مداحة الظلم الاجتماعي الذي أضر بالكثيرين من الفقراء .

فهذه صورة **"طفل"** فقير أو يتيم قد عاد عليه الفقر بضآلة الجسم ونحولته فهو يمشى، وقد أرهقه الذل وأعياه السقم، وقد ظهرت ضلوعه من خلال ثقوب ثوبه الكثيرة التي غطت ملامحه بالشقاء والتعاسة، فبدا كغصن ذابل جف عنه الماء، وانقطع عنه الوراد فاندفع مرتميا في أحضان الضلال، يشبع رغبات نفسه المنهومة، ويعب من كل المتع التي حرمه المجتمع منها.

ويرسم الشاعر – على سبيل السخرية من المجتمع – صورة أخرى لهذا "الطفل الفقير"، فصوره وهو يقطع الأيام والليالي جائعا ظمئا، لا يجد ما يسد به جوعته أو يروى به غلته إلا فيما يلقيه بعض الخدم من مخلفات بيوت أسيادهم في صناديق القمامة، فإذا نال بعضا مما بها، أسلمه ذلك إلى النوم مطروحا في بعض الممرات أو الخنادق ، لا يشعر

١- المرتع الوخم: العفن.

به أحد، وكأنه طيف أخفاه الظلام ، أو حجر ملقي على الأرض لا يدرك إلا حين تعثر به بعض أقدام الماشين.

وفي قول الشاعر في البيت السابع: "لا يحس به" تصوير لبشاعة الظلم الواقع على هذه الفئة المهضومة في المجتمع المصري، ورمى لأفراد المجتمع بتبلد الأحاسيس والمشاعر الفاضلة تجاه المعوزين من إخوانهم

* وهذا النص الشعري، والنص الذي يسبقه مباشرة -وهو نص للجارم – يغريان بعمل موازنة بينهما؛ نظرا لاشتراكها في الفكرة "وهي تصوير بؤس الفقراء في المجتمع المصري".

وبالموازنة بين النص الذي معنا وسابقه يتبين لنا ما يأتي:

* بدأ (الجارم) كلامه بإلقاء اللائمة على الأغنياء، والسخرية من سفههم وإضاعة المال فيما لا يفيد، وهو نفس المنحى الذي سار فيه (الماحى) في نصه، حيث يقول قبل أبياته التى أوردناها مباشرة مخاطبا الأغنياء:

أتمنعون سبيل الخير ما لكم؟ ولا تضنون حيث السوء والتهم

*حصر (الجارم) في أبياته موطن تفشي الشقاء والتعاسة في بلدة المعز، وهي القاهرة، مبرز أثر ذلك في : كثرة الدموع واشتداد الألم.

بينما نجد (الماحى) قد وسع الدائرة، فجعل الظاهرة متفشية في مصر كلها، وقد ترتب على ذلك : اندفاع كثير ممن حل بهم الشقاء إلى الانحراف الأخلاقي والسلوكي في المجتمع .

و(الماحى) مقدم على (الجارم) عندي في هذه الناحية؛ لأنه نبه إلى الخطر الذي يترتب على إهمال المجتمع للفقراء، وهو تفشي الفساد والانحراف.

*جعل (الجارم) للفقير – في أبياته – مكانا يأوى إليه، وإن أسماه جحرا أو كوخا بينما صور (الماحي)- في أبياته- شريدا ليس له بيت يأوى إليه، وإنما جعله يتخذ من الشوارع والزوايا المهملة مكانا ينام فيه، وهذا أدعى إلى انتزاع الشفقة به من قلوب الآخرين.

*صور (الجارم) في بيتيه – السابع، والتاسع – أثر الفقر والتشرد الذي يعاني منه الفقراء، بأنهم صاروا كالأطلال المتهدمة التي تمشى وقد نسجت عليها الأكفان.

بينما صور (الماحى) أثر ذلك بأنه عاد عليهم بالنحولة ، والمذلة، والمرض، والذبول والغرق في بحر من الدموع.

والمعنى عند الشاعرين واحد، وإن كان **"الجارم"** يتفوق على (الماحى) في طرافة التعبير وجمال التصوير.

*يختم النص عند الشاعرين بالنداء، وهو عند (الجارم) يتوجه به إلى الأغنياء؛ باعتبار أنهم يملكون من المال ما يستطيعون أن يمسحوا به دموع الفقراء والبائسين.

أما (الماحى) فقد توجه بالنداء إلى رحمة الله التي وسعت كل شئ، بعد أن أعيته الحيل في استمطار الجود من الأغنياء فما استجابوا !

و(الماحى) مقدم عندي في هذه الناحية؛ لأن (الجارم) إذا كان قد توجه بالنداء إلى الأغنياء ليجودوا على الفقراء، فقد توجه هو (الماحى) إلى من جاد على الأغنياء، وهو الله عزوجل

والمقارنة بين النصين – كما هو واضح- تثبت تفوق (الماحي) على(الجارم) في تصوير ظاهرة البؤس والشقاء الذي يعاني منه الفقراء في المجتمع المصري.

*هذا عن ملامح الظلم الاجتماعي في النصف الأول من القرن العشرين، أما في النصف الثاني، فقد تركزت ملامحه حول محورين اثنين: وهما القلق الاجتماعي والتمزق النفسي الذي سيطر على أغلب أبناء المجتمع، ثم الحرمان الاجتماعي بمختلف ملامحه.

وقد تناول الشعراء المصريون هذين المظهرين ساخرين من الآثار المترتبة عليهما؛ طلبا للإصلاح ، ووضعا للأمور في نصابها الصحيح.

وإليك الحديث عن ذلك مشفوعا بالشواهد:

١. القلق الاجتماعي والتمزق النفسي:

في النصف الثاني من القرن العشرين، وقعت أحداث عظام، وتحولات خطيرة في المجتمع المصري، وهي تحولات سياسية واجتماعية كبيرة، وقد تركت هذه التحولات – بالضرورة – آثارا عميقة في نبض المجتمع المصري، وكانت هزيمة ١٩٦٧م من التجارب القاسية التي بعثت القلق والتمزق في نفوس المصريين، ورمتهم بحالة من الذهول والصمت الرهيب ، وكأن حالة الإحباط الداخلي قد أخرست ألسنتهم ، وأذهلت عقولهم.

وقد صور شعراء النصف الثاني من القرن العشرين هذه الظاهرة تصويرا ساخرا.

*من ذلك قول الشاعر **"كمال نشأت"** ساخرا من حالة الصمت والذهول التي سيطرت على الناس في مجتمعنا المعاصر[١]:

- السماء

- ليست بزرقتها!

- والمباني تكدس من فوقها الغبار!

- الشوارع مزدحمة بالضجيج

- وازدحام اكتئاب الوجوه

- وحتى الصغار

- مشوا صامتين بأيدي الكبار!!

- وقد شربوا من هموم الكبار!!

- الحوانيت .. والحافلات..

- واللافتات:

- انتخبوا ناصر الفقراء !!

يسخر الشاعر – هنا – من حالة الصمت والذهول التي غشيت أبناء المجتمع المصري في النصف الثاني من القرن العشرين، فالناس يسيرون في الشوارع والطرقات سكارى غافلين مكتئبين ، كحالة الإنسان الذي أصابته صدمة فأفقدته الوعي والإدراك!

١- الأعمال الشعرية الكاملة، ج١/٥٩ "بحر المتدارك".

وتبدو السخرية في السطر السادس ، والسابع، حين يذكر الشاعر أن الكآبة والصمت قد تعدت الكبار إلى الصغار الذين لا يعرفون الكآبة ولا الصمت، فقد مشى الأطفال صامتين في أيدي الكبار.

وهذا يدل على تجرع الكبير والصغير لمرارة هذا الموقف، وامتلاء نفسه بالرهبة منه .

* وعلى نفس هذا الدرب تبدو خطا الشاعر "محمد أحمد العزب" الذي يسخر من القلق الاجتماعي ، والتمزق النفسي الذي سيطر على المجتمع المصري بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م.

- يقول من قصيدته "الصيف الرجيم" [١]:

- الصيف كان راية الذين يبحرون للنهار!!

- وراية الذين يصنعون روعة النهار!!

- لكنه قد عاد هذا العام مطفأ العينين ..

- ممزق الإزار!!

- تلكأت قوافله ..

- على مرافئ الغبار!!

- واصطاف ملاحو، في شواطئ الأنين

- وأقلعوا بالعار!!

- الصيف هذا العام فارس رجيم

- جواده الأجير مات في مطالع النهار!!

- لا تعلنوا الحداد ..

- لا ..

- لا تلبسوا السواد !!

- أحزانكم أغلى من الجواد !!

- يا أيها الصيف الرجيم..

- أيها الحزين مرتين..

١- الأعمال الشعرية الكاملة/ ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠ .

- قلبي معك
- مع الشواطئ المهجورة العريانة المؤرقة !!
- مع النوافذ الشرقية المغلقة !!
- مع الحدائق التي ما استقبلت روادها..
- ولم تزل نضيدة .. منسقة !!
- مع المواعيد التي أخلفها العشاق ..
- في موسم المباهج المسبقة !!
- قلبي مع الزهو الذبيح ..
- في لقاء جيلنا الجريح ..
- على موائد ليلية مفرقة !!
- تقتلنا..
- نقتلها ..
- يقتلنا معا..
- أنين أحلام الجموع المرهقة !! (١)

في هذه القصيدة يسخر – العزب – من مظاهر القلق والتمزق النفسي التي سيطرت على أبناء المجتمع المصري، وخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧م ، فقد تسللت مظاهر هذا القلق والتمزق إلى حركة الزمان والمكان في حياة الناس.

فالصيف – بعد الهزيمة – تعطلت وظيفته ، وشلت حركته في حياة الإنسان المصري فلم يعد راحة المتعبين ، ولا مجالا للسمر وارتعاشة الوتر، بل تخلى عن دوره الطبيعي في حركة النماء، وتوزيع الظلال في الغصون فصار مطفأ العينين ، ممزق الإزار واقفا بالجموع المتعبة على شواطئ الأنين.

وتمتد آثار هذا الصيف إلى الواقع المكاني أيضا، فقد هجر الناس الشواطئ الصيفية، كما هجروا الحدائق، وغلقوا النوافذ الشرقية كأنهم في حداد، بل لقد تعطلت

١- القصيدة من بحر الرجز (مستفعلن)

مواسم العشق، ومواعيد الزواج المسبقة، وفقد الجيل كبرياءه واعتزازه بنفسه، وقادهم التمزق إلى موائد الضياع الليلية يغرقون فيها أحزانهم وشعورهم بلوعة الحلم الضائع[1].

وتبدو السخرية – بوضوح – في هذه الصورة التي يرسمها الشاعر للصيف، فقد صوره بعد الهزيمة بصورة إنسان عائد من سفر، وقد عمى بصره، وتمزقت ثيابه.

وهي صورة مزرية تكشف عن عمق الإحساس بالألم النابض في قلوب الناس والمسيطر على حركتهم في الحياة.

*ومن ذلك- أيضا- قول الشاعر **"بدر توفيق"** ساخرا من اليأس والإحباط الذي أصاب المجتمع المصري بعد هزيمة ١٩٦٧م التي غيرت الملامح، وبدلت الألوان[2]:

- يا نسمات الصيف فوق قمحنا

- ويا حبيبة مضت لاهثة...

- تبحث في وجوه كل العائدين المثقلين..

- على وجهها السجين...

- "خائف ضوء الفجر لا ينام

- طالب دفء الأرض لا ينام

- فاقد لون الحب لا ينام

- راهب هذا العصر لا ينام

- الفجر ضل والشروق لم يصادف الدعاء

- ورهبة السماء ... ...،

- انتحبت فوق جدار الخوف والأحزان..

- وارتدت الأكفان !

- وها أنا ... ...

- بين عذاب الأقوياء..

١- انظر: منطلقات التجديد وآفاقه – د/محمود عباس/١٠٨، ١٠٩، ١١٠ .

٢- ديوان قيامة الزمن المفقود/٧٠، ٧١ ، "الرجز".

- والضعفاء

- أحمل فوق كاهلي مشانق الأبناء !

فالشاعر- في هذا النص – يبرز آثار الهزيمة على الإنسان وعلى الطبيعة، فالإنسان يبدو محبطا خائفا، ومظاهر الطبيعة كنسمات الصيف تبدو حيرى، تبحث في كل الوجوه العائدة من أرض الميدان عن بارقة أمل٠٠٠ فلا تجد٠

وتكمن السخرية في السطر التاسع، حين يتحدث الشاعر عن الأمل الذي ضل طريقه، وعن الانتصار الذي لم يصادف الدعاء٠

وهي سخرية تجسد حالة الإحباط واليأس الذي أرهق نفوس أبناء مصر في تلك الفترة٠

*ومنه قول الشاعر **"محمد إبراهيم أبو سنة"** ساخرا من الظروف السيئة التي حطمت الآمال والأحلام[1]:

- جرس في ذاكرتي

- يتثاءب حلم ينهض بين سيوف النظرات

- غمغمة ٠٠ فوضى

- من يرفع جثث الآمال من الطرقات ؟

- يترنح حلم السنوات ٠٠

- تركله قدم طائشة الخطوات

- يسقط ٠٠

- ينزف تحت الطعنات

- يتعرى مذبوحا٠٠٠

- وتغطيه الصرخات!!

فالشاعر – في هذا النص – يرسم للآمال المنهارة ، والأحلام المحطمة صورة دامية فلقد أصبحت الآمال جثثا مطروحة في الطرقات، وذبحت الأحلام، وغطتها الصرخات ٠

١- ديوان تأملات في المدن الحجرية /١٠٧ ، "المتدارك"٠

وهي صورة ساخرة قائمة على المبالغة في التصوير، إبراز للحالة النفسية السيئة التي سيطرت على المصريين في ذلك الوقت.

٢. الحرمان الاجتماعي:

الحرمان الاجتماعي في المجتمع المصري متعدد الألوان والأشكال، وهو- في الحقيقة – إفراز للواقع الاجتماعي الذي عاشه الناس، وخاصة بعد التحولات السياسية والاجتماعية التي مرت بها الحياة المصرية بعد هزيمة ١٩٦٧م وقبل سنة ١٩٧٣م.

والحرمان بألوانه وأشكاله يكثر وجوده في المجتمعات التي يغيب عنها الضمير الديني رازحة في أغلال الطبقية البغيضة التي لا ترحم.

*والشاعر (محمد العزب) حين يتكلم عن الحرمان الاجتماعي – في النص الآتي- يقدمه لنا من خلال نموذج واقعي يعيش في الحياة.

يقول ساخرا من الحرمان الاجتماعي الذي يترتب عليه الشعور بالضياع، وذلك من خلال قصيدته **"بائعة اليانصيب"** [١]:

- وتضحك لي وفي أعماق عينيها أسى يبكي
- تبيع اليانصيب.. وعن مآسي ليلها تحكي
- وعمر شبابها عشرون.. غافية على الشوك
- بنفسجة خريف العمر شردها عن الأيك
- تمزق ثوبها المذعور عن صدر بلا ثمر
- وباح نهار عينيها بكل قساوة المطر
- وبلل في ابتسامتها ربيع ذابل الشجر
- وشرد خطوها الإعصار في ليل بلا قمر
- تبيع اليانصيب.. ولا نصيب لها.. وتنطلق
- توشك أن تبيع سواه راغمة وتحترق
- فخلف جدار بسمتها يصيح الجوع.. والأرق

١- الأعمال الشعرية الكاملة/٦٣٧، ٦٣٩ ، "بحر الوافر".

- إلى أن يقول:

- وياما عفرت باللوم وجه الآدميينا

- وبا ما أجهشت بالدمع تستجدى المصلينا

- وباسم الدين ٠٠ والديان ٠٠ كم ناجت غبيينا

- فما أجدى البكاء هناك٠٠ لا قمحا٠٠ ولا تينا

يسخر الشاعر – في هذه القصيدة – من قصة الضياع والتشرد التي تعاني منها هذه الفتاة الصغيرة **"بائعة اليانصيب"**، فهي تنطوى على أسى فاجع، وألم مرير، وإن كانت تبدو منها في بعض الأحيان ابتسامة شاحبة، نقرأ فيها سطورا عن ربيع العمر الذابل، وعن الجوع والأرق الذي يضنيها، وهي تحاول إخفاءه وستره، ولا من معين أو مغيث٠

وتكمن السخرية في هذا النص في قول الشاعر:

- وبلول في ابتسامتها ربيع ذابل الشجر

فالشاعر يصور هذه الابتسامة الذابلة لفتاة صغيرة بائسة، قد تجعدت ملامح السعادة في حياتها – بصورة الربيع التعس الذي جف عنه الماء فذبلت أشجاره، ويبست أرضه٠

- وهو يصيح ويصرخ داعيا بالويل على ظالمه٠

- كما تكمن السخرية – في هذا النص – في السطرين التاسع والعاشر:

- تبيع اليانصيب ولا نصيب لها وتنطلق

- وتوشك أن تبيع سواه راغمة وتحترق

ففيهما سخرية لاذعة قائمة على المفارقة، فهذه الفتاة تبيع **"اليانصيب"** ولكن٠٠ لا نصيب لها هي في السعادة في ظل حياة منكمشة المشاعر النبيلة٠

والشاعر يلمح في السطر الثاني إلى ما قد يجرها إليه التشرد والضياع من وقوع في الخطيئة ٠

كما تكمن السخرية في السطور الأربعة الأخيرة، وهي سخرية من المجتمع الذي كم صرخت فيه، وكم بذلت دموعها فيه لكل رائح وغادى، وكم ناجت الناس باسم الدين والديان ليمنعوا عنها شبح التشرد والضياع.. فما أغاثها أحد!!

وهي سخرية تدل على شراسة الحرمان الاجتماعي الذي يتعرض له بعض البائسين في المجتمع .

ونتيجة لهذا الحرمان الاجتماعي ، تخاصم الناس مع الحياة، ووقعت الجفوة بينهم وبينها فأحس كثير منهم بالإحباط.

*ويقول الشاعر **"كمال نشأت"** ساخرا من ظاهرة الإحباط المتفشية بين أبناء المجتمع المصري، نتيجة للخصام مع الحياة والتشاؤم منها، وذلك من قصيدته **"لماذا نغادر دفء الأحبة"** [1]:

- **لماذا**
- **تجعدت الضحكات**
- **ترملت الأمنيات**
- **وأمطر فينا الشجر؟**
- **لماذا يجوع الصباح**
- **وينكسر الخاطر المستباح**
- **وتمشى على دمائهن الجراح**
- **ويخضر فينا الشتات ؟**

يسخر الشاعر – هنا – من حالة الإحباط التي سيطرت على الناس، فانتزعت كل معنى جميل من حياتهم، فقد تجعدت الضحكات، وترملت الأمنيات، وعم الضيق والضجر، واتسعت هوة الشتات والتفرق بين الناس في المجتمع.

وتبدو السخرية في السطر الثالث:

١- الأعمال الشعرية ، ج١/١٩، ٢٠ ، "المتقارب".

- **ترملت الأمنيات.**

فقد شبهت الأمنيات في ظل هذا المجتمع بامرأة مات عنها زوجها بجامع ضآلة في الطموح ، وافتقاد السند والمعين.

والسخرية تدل – هنا – على فتور الهمم وانحسار الرغبات في نفوس أبناء المجتمع المصري في ذلك الوقت.

*ومن ذلك- أيضا- قول الشاعر"**محمد إبراهيم أبو سنة**" ساخرا من بعض مظاهر الحرمان الاجتماعي، والتي تبدو في صورة امرأة وحيدة تنتظر من يطرق بابها، ويبعث السعادة في قلبها[1]:

- **امرأة بيضاء في الحداد**
- **تمد كفها إلى حدائق الأيام**
- **يابسة جميع هذه الغصون**
- **يدق قلبها**
- **تدق ساعة المخاطرة**
- **تطيل الانتظار**
- **أمام عالم محرم وعالم يموت**
- **امرأة وحيدة**
- **تجلس في حديقة الزمان**
- **تبني من الذاكرة البعيدة**
- **سوا حلا ومدنا سعيدة**
- **عاصمة جديدة**
- **امرأة وحيدة**
- **تسقط في مخالب الوحشة**
- **والذاكرة العمياء !**

١- تأملات في المدن الحجرية/١٣٧، ١٣٨ "الرجز".

يرسم الشاعر – في هذه السطور الشعرية – صورة لامرأة وحيدة، تعيش في لوعة وأسى، تلهفا على زوج مناسب يطرق بابها، فيجعل لحياتها معنى، ويحاول الشاعر أن يدنو أكثر من هذه المشاعر الحزينة الملتاعة حين يصورها حائرة بين طول الانتظار الذي يطوي معه شبابها وجمالها، وبين الاقتراب من المحرم.

والسخرية تبرز – هنا – في السطرين الثاني والثالث، حين تحاول تلك المرأة أن تنال من متع الحياة في الحلال، فتجد الأبواب موصدة في وجهها، فتعود حزينة كسيرة وكأن الظروف تضطرها إلى السخرية من هذا العالم الذي ذبلت عواطفه.

*ومن مظاهر الحرمان الاجتماعي كذلك: الحرمان من مشاعر البنوة، وهي صورة قاسية يعيشها الأبناء، حين يفتقدون آباءهم أو أمهاتهم في الحياة، ويحرمون من كلمة "أبي أو أمي".

*ومن نماذج ذلك: قول الشاعرة **"وفاء وجدى"** ساخرة من افتقادها وحرمانها من وجود أم لها ترتمي في أحضانها كلما غضتها الأيام[1] :

- **لماذا الحزن يسكنني؟**
- **لماذا الريح تعصف بي؟**
- **وتلقيني إلى الفلوات تعصرني**
- **لماذا تنطوى الأضواء من حولي؟**
- **لماذا كلما بزغت رؤي فرح..**
- **بأيامي، تصير كشهقة الموت؟**
- **لماذا الحزن يأكل حلو أيامي؟**
- **لماذا كل ألحاني بلا صوت ؟**
- **عرفت الآن سرا كم بجوف الليل أرتمي**
- **لماذا جفت الدمعات في عيني؟**
- **فماذا بعد يبكيني ويؤلمني؟**

١- ديوان الحرث في البحر،/٨٧، ٨٨، "الوافر".

- **سوى ذكرى**
- **لدفء كان يشملني**
- **ويشحذني..**
- **ويلهمني..**
- **عرفت الآن يا أمي**
- **لماذا كلما رنت**
- **بسمعي أغنيات الأم أبكي لحني الضائع**
- **وأهرب من تهدم ركني المأمون يا أمي**
- **إلى الشارع..**
- **لأبحث في وجوه الناس عن وجه ألوذ به**
- **فلا وجه أرى فيه**
- **ملامح وجهك الرائع**

فرغم أن كل شئ جميل في الحياة، إلا أن النموذج البشري الذي معنا لا يشعر بالسعادة؛ نظرا لما يعتمل في قلبه من المشاعر الحزينة المتسببة عن فقدانه لأمه، التي هي الدفء الشامل.

والسخرية تكمن في السطور الثلاثة الأخيرة،والتي تصور هذه المرأة وقد خرجت إلى الشارع لتبحث فيه عن وجه ترى فيه وجه أمها، ثم تفشل في ذلك.

والسخرية بذلك تجسد الحرمان الاجتماعي الذي يعاني منه بعض أفراد المجتمع المصري المعاصر، مما اضطرهم إلى اللجوء إلى الماضي؛ بحثا عن السعادة في أحضانه، وكأن الواقع المعاصر قد عجز عن إسعاد أفراده، وإشباع نواحي الحرمان في حياتهم.

*ومن مظاهر الحرمان الاجتماعي أيضا: الحرمان من القيمة الإنسانية المقاتلة.

كان غياب المشاعر الإنسانية النبيلة – كما تحدثنا في النصف الأول من القرن العشرين – من العوامل القوية التي أدت إلى خلق نوع من الكراهية والبغضاء بين أبناء

المجتمع المصري، وبالتالي أدت إلى نوع من التجافي والغلظة؛ لأن غياب القيمة الإنسانية عن قلب الإنسان يؤدي إلى كرهه وعدم الثقة به٠

*ومن ذلك قول الشاعر **"أحمد عبد المعطى حجازى"** ساخرا من غياب المشاعر الإنسانية النبيلة تجاه الآخرين من أبناء المجتمع، وذلك من قصيدته **"لا أحد"**[1] :

- **رأيت نفسي أعبر الشارع، عارى الجسد !**
- **أغض طرفي خجلا من عورتي!**
- **ثم أمده لأيستجدى التفاتا عابرا،**
- **نظرة إشفاق على من أحد !**
- **لم أجد !**
- **إذن ٠٠**
- **لو أنني – لا قدر الله – أصبت بالجنون٠٠**
- **وسرت أبكي عاريا٠٠ بلا حياء**
- **فلن يرد واحد على أطراف الرداء!**
- **لو أنني – لا قدر الله – سجنت ، ثم عدت جائعا٠٠**
- **يمنعنى من السؤال الكبرياء !**
- **فلن يرد بعض جوعي واحد من هؤلاء !!**
- **هذا الزحام ٠٠ لا أحد !**[2] .

يسخر الشاعر – في هذا النص – من ظاهرة الفردية أو الأنانية بين أبناء المجتمع المصري، فكل واحد منهم يعيش مشغولا بنفسه فقط، حتى لو رأى الواحد منهم أخاه مكشوف العورة ما رد عليه أطراف ثيابه، ولو رآه جائعا ما سد جوعه، ولا أنقذه من سغبه!

وتكمن السخرية هنا: في هذه الصورة التي يرسمها الشاعر، ويقدمها لنا باعتبارها شاهدا على الواقع الإنساني المتردي في المجتمع المصري، وهي صورة إنسان يعبر الشارع

١- الأعمال الشعرية الكاملة/٣٢٩، ٣٣٠ ٠
٢- الأعمال الشعرية الكاملة/٣٢٩، ٣٣٠ ٠

وهو عارى الجسد، مكشوف العورة، يكاد الخجل والحياء يقتله من سوء ما يأتي به، ثم إن أحدا من المجتمع لم ينظر إليه نظرة عطف وإشفاق، محاولا أن يستر عورته، وإنما سار الكل في طريقه، وهو ساكت وغافل أشبه ما يكون بالسكران، الذي لا يجد في نفسه شيئا من لذع الضمير، أو تأنيب النفس، وقد عبر الشاعر عن هذه الصورة في سطور من (١-٥)٠

وقول الشاعر في السطر الخامس من قصيدته: لم أجد !

يصور صدمة الشاعر في المجتمع حين تغيب عنه المشاعر الإنسانية النبيلة، ليحل محلها الجفاء والإهمال، وحين يصبح ذلك شعورا عاما، وسمة من سمات المجتمع ، يكون ذلك إيذانا بوقوف هذا المجتمع على حافة الخطر٠

كما تكمن سخرية الشاعر هنا: في قوله في السطر الأخير:

. هذا الزحام ٠٠ لا أحد !

فهو يسخر من هذه الكثرة العددية الهائلة ، وهذا الزحام الرهيب من البشر، مع افتقادهم جميعا للمشاعر الإنسانية الطيبة تجاه الآخرين، فهو وجود كالعدم، وزحام لا فائدة من ورائه٠

*ويقول الشاعر **"كمال نشأت"** ساخرا من عصر الإنجازات والفضائيات الحديثة الذي يموت الإنسان فيه جوعا في بقاع شتى، وذلك من قصيدته **"القرن العشرين"** سنة ١٩٦٦م[١]:

- **الناس يموتون جياعا في القرن العشرين !!**
- **ونهلل في فرح أجوف:**
- **"قهر الإنسان الأجواء٠٠**
- **والقمر غدا يغزى ٠٠"**
- **وعلى الأرض٠٠**
- **وأمام عيون البشرية٠٠**
- **يفني جوعا إنسان !!**

١- الأعمال الشعرية ، ج٢/ ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ ٠

- **يا عصر الحريات !**
- **يا عصر الإنجازات العلمية !**
- **كم يخفى وجهك من مأساة !**
- **تتحول فيك ملايين الدولارات..**
- **مركبة فضاء !!**
- **وعلى الأرض..**
- **يحتضر الناس من الأزمات !!**
- **ثم يقول:**
- **النمل يعيش..**
- **والسمك يعيش ..**
- **والطير يعيش ..**
- **ويموت من الجوع الإنسان !!**
- **في أي زمان نحن نعيش ؟ ؟**
- **في أي زمان ؟** [1] .

يسخر الشاعر – في هذه القصيدة – من غلبة المادة على قلوب البشر وسيطرتها عليهم سيطرة عجيبة ، فبينما يفخر الإنسان بامتلاكه المادة، وقهره الأجواء، ويتشدق بالحديث عن الحرية، والإنجازات العلمية الحديثة، ويحاول إظهار الوجه الحسن، نجد هناك وجها آخر قبيحا يتخفى تحت طيات النسيان، فهناك ملايين من البشر يموتون جوعا في شتى أنحاء العالم، بينما يعيش الطير، والنمل، والأسماك في أمان من الأزمات والتقلبات!

وتكمن السخرية – هنا – في السطر الشعري من (١-٧) حين يصور الشاعر – على سبيل السخرية والتهكم – ما نحن فيه من غرور وافتخار بسبب غزو الإنسان للفضاء وهبوطه فوق سطح القمر، بينما أخوه الإنسان على الأرض، يموت من الجوع أمام عينيه ولا من مغيث أو مجير.

١- الأعمال الشعرية ، ج٢/ ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ .

كما تكمن السخرية في السطر الشعري من (٨- ١٤) حين يسخر الشاعر من عصر الحريات، والإنجازات العلمية الذي ينفق فيه الإنسان ملايين الدولارات في صنع مركبة فضائية، بينما لم يبحث عن حل يمسح به البؤس والشقاء والأسى الذي يغل أخاه الإنسان وينقذه من شبح الخوف الذي يتهدده في كل لحظة.

والسخرية هنا تدل على الواقع الإنساني المزري، الذي فقد فيه الإنسان انتماءه لأخيه الإنسان.

*وفي هذا المقام نجد قول الدكتور **"العزب"** الذي يسخر فيه من غياب المشاعر الإنسانية النبيلة تجاه الآخرين من أبناء المجتمع، وذلك من قصيدته **"الخادمة وفستانها الجديد"** يقول على لسانها[1]:

- **فستاني يا أجمل فستان غني لمسائي اليقظان**
- **هل تدرى؟ في توتى للقائك جبت فضاء الأكوان**
- **وحلمت بمن يهواك على بمن يسترحم أحضاني**
- **لكنك يا فستاني جئت وأرهق يومك وجداني**
- **فالشارع كان يمور وليس يحس برجفة بركاني**
- **لم يشهق درب لم يشهق بشر بنشيد استحسان**
- **لم تقف الأعين ذاهلة لم تجمد حتى لثواني**
- **فتهدم قلبي وارتعشت أبعاد مكاني وزماني**
- **وعدوت عدوت لسيدتي أبكي وتولول أحزاني**
- **لأقول لها: يا سيدتي ما أقبح لون الفستان**
- **قولي : هل مات الضوء؟ وهل بهتت ألوان الألوان؟**
- **ما أحد أطراه ٠٠ أبدا ٠٠ لم يشعر أحد بمكاني**
- **وتقمهقه سيدتي فتريق شعاع الضوء بأجفاني**
- **وأصبح: عرفت ٠٠ عرفت حقيقة جرحي٠٠ فورة غثياني**

١- الأعمال الشعرية الكاملة/٦٤٣، ٦٤٤ .

- **فستاني حلو لكني · أنا فيه ·· بقايا إنسان**[1].

يسخر الشاعر **"العزب"** في هذه القصيدة من مظهر من مظاهر الحرمان الاجتماعي، وهو غياب المشاعر الإنسانية النبيلة تجاه الضعفاء، وهو هنا يعمد إلى التقاط نموذج واقعي من المجتمع يتجاهل السادة حقه الإنساني، وهذا النموذج هو "الخادمة وفستانها الجديد"·

والشاعر هنا: يسخر من المجتمع الذي لا يأبه بها، ولا يقيم لمشاعرها وزنا ويتجاهل أدنى حقوقها الإنسانية، فتحيا تحت وطأة النظرة السفلية كسيرة النفس، جريحة الفؤاد محرومة من حظها الإنساني في عيون الآخرين[2]·

فقد ظلت هذه الخادمة تحلم الأيام والليالي أن يكون لديها فستان جميل تستلفت به أنظار الناس إليها، ولكن عندما أسعدها الحظ، وأفاها القدر بفستانها الجديد، لم يغير من وضعها شيئا في تقدير الناس لها ، بل إنها لم تلق من سيدتها إلا السخرية والتهكم·

وتكمن السخرية هنا في السطر الشعري الأخير ، حين تتعرف الخادمة على حقيقة نظرة المجتمع إليها، وتدرك أن الفستان جميل، وليس به عيب، ولكن العيب فيها هي، وهو أنها بقايا إنسان استحق الإهمال من الآخرين؛ بسبب ضعفه، وقلة شأنه في المجتمع·

والسخرية هنا: تدل على تبلد المشاعر الإنسانية النبيلة تجاه الآخرين، كما أنها تدل على شقاء هؤلاء الذين يشغلون أدني درجات السلم الاجتماعي، وتحملهم كثيرا من الآلام والمحن·

- ومن القيم الإنسانية الرفيعة التي اغتيلت في هذه المرحلة:انزواء قيمة الحب في حياة الناس بحيث طغت ماديات الحياة، والمصالح الشخصية على الجانب الإنساني الشفاف·

يقول الشاعر **"محمد إبراهيم أبو سنة"** ساخرا من غياب عاطفة الحب بين الناس[3]:

١- الأعمال الشعرية الكاملة/٦٤٣، ٦٤٤ ·
٢- انظر: منطلقات التجديد وآفاقه/١١٣، ١١٤ ·
٣- تأملات في المدن الحجرية/ ٤٢، "الرجز"·

- **ماذا يحترق بقلبي ؟**
- **يا مدن القسوة والوهم!**
- **تذبل أشجارى**
- **تتبخر أنهارى**
- **يسقط قمرى في الظلمة**
- **ها أنتم تقضون نهاركمو تقتتلون !**
- **ثم يجئ الليل يعانقكم أرق مجنون**
- **ماذا يحترق بقلبي؟**
- **صحراء تتبعني**
- **شجن يملؤني**
- **ها أنذا أتلوى فوق الصحراء**
- **يحتضر الحب على أعتاب مدينتكم**
- **ويموت بأعطافي الماء**
- **ها أنذا أتلوى ...**
- **رعبا منكم**
- **فوق الصحراء.**

فالناظر، يجد السخرية تتجسد – في هذا النص – حين يجعل الشاعر من الحب إنسانا يحتضر على أبواب تلك المدينة التي خلت من الحب، ومن الإخلاص، ومن الصدق ومن الفرح، ومن الأمل، وتحجرت فيها القلوب.

وهي سخرية تدل على حرمان الناس من تلك القيمة الإنسانية العالية التي تركت جفافا في القلوب، ووحشة في الصدور.

*ومن ذلك – أيضا- قول الشاعر **"فاروق جويدة"** ساخرا من انزواء الحب بين الأحبة حتى في مجال العشق[1]

١- دائما أنت بقلبي/٧٩، ٨٠، "الرجز".

- **لا تسأليني ...**
- **كيف ضاع الحب منا..**
- **في الطريق**
- **يأتي إلينا الحب..**
- **لا ندرى لماذا جاء..**
- **قد يمضي..**
- **ويتركنا رمادا من حريق..**
- **فالحب أمواج .. وشطآن**
- **وأعشاب..**
- **ورائحة تفوح من الغريق.**

يجعل الشاعر الحب أمواجا، وشطآنا، وأعشابا... وهي أمور صعبة، يخفي وجهها كثيرا من المخاوف والمتاعب،وخاصة في زمن لا تتضح فيه الرؤية، ولا تظهر فيه النوايا، وقد استطاع الشاعر من خلال التعبير بالفعل (ضاع) أن يجسد ظاهرة انزواء الحب بين الناس، فليس أدل على ذلك من كونه ضائعا في الطريق.

ولذا، فليس بمستغرب أن يتجاهل الناس الحب ، ويعتذرون عنه بأنه لا وقت له في حياتهم.

*ومن ذلك قول الشاعرة **"وئام وجدى"** من قصيدتها: الحب وواجهة العصر[1]:

- **لا وقت لما تدعو الحب ..**
- **في زمن تسرع فيه العجلات..**
- **نجرى والعجلات تدور**
- **وننام وتونا والعجلات تدور**
- **نأكل والعجلات تدور**
- **نعمل والعجلات تدور**

١- الحرث في البحر/٤٩، ٥٠، "الرجز".

- **نمشي في دائرة مغلقة ونظل ندور**
- **نلهث ونظل ندور**
- **والزمن يدور**
- **حتى تلقينا السرعة تحت العجلات !**

الشاعرة – هنا – تسخر من عدم وجود وقت للحب، في ظل ظروف الحياة المادية التي جعلت الناس في حركة دائبة ، ودوران مستمر، بل إن كل ما في الحياة يسرع ويلهث دون توقف.

والسخرية – هنا – تجسد طغيان المادة على الروح، في زمن يقدم المادة على كل شئ.